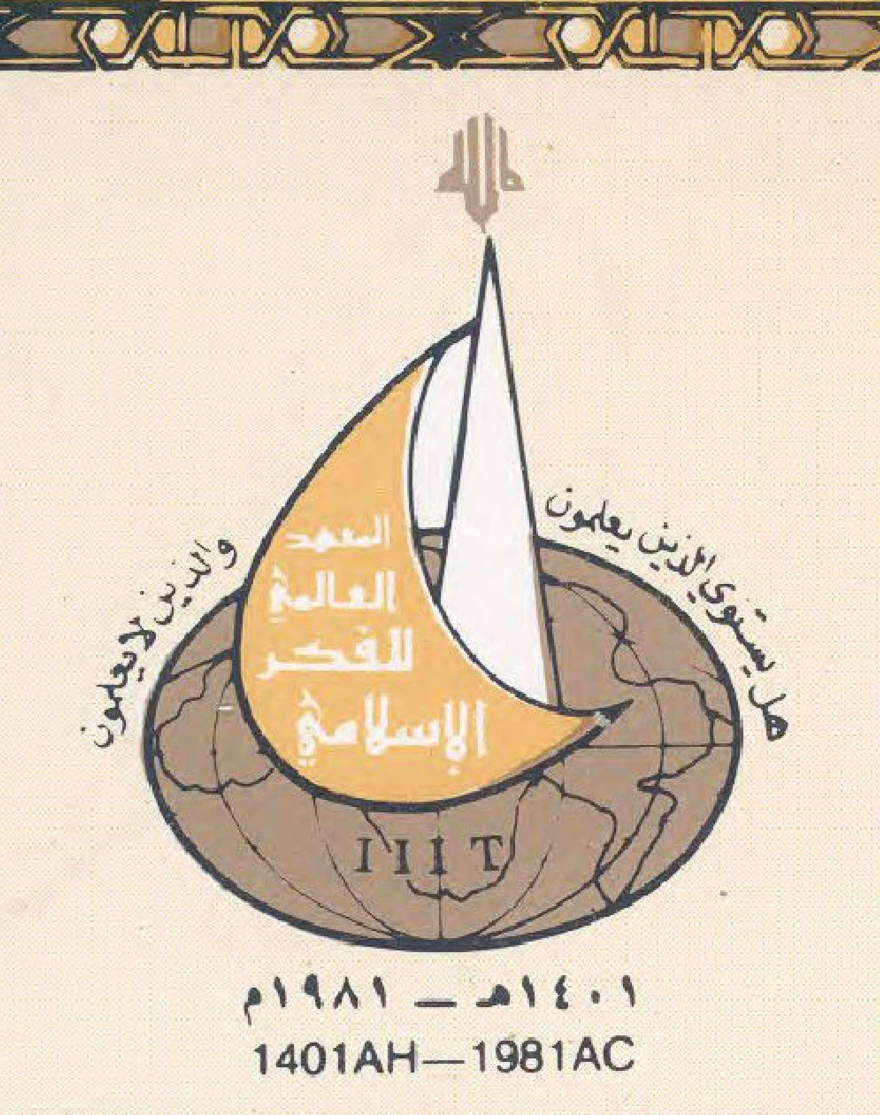
المعهد العالمي للفكر الإسلامي

مشروع العلاقات الدولية في الإسلام (٨)



العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي

الجزء الثامن

الدولة الأموية.. دولة الفتوحات

٤١ - ١٣٢هـ - ٦٦١ - ٧٥٠م

نادية محمود مصطفى

المشرف العام ورئيس الفريق

الباحثـــــون

أحمد عبد الونيس شتا

سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل

عبد العزيز صقر

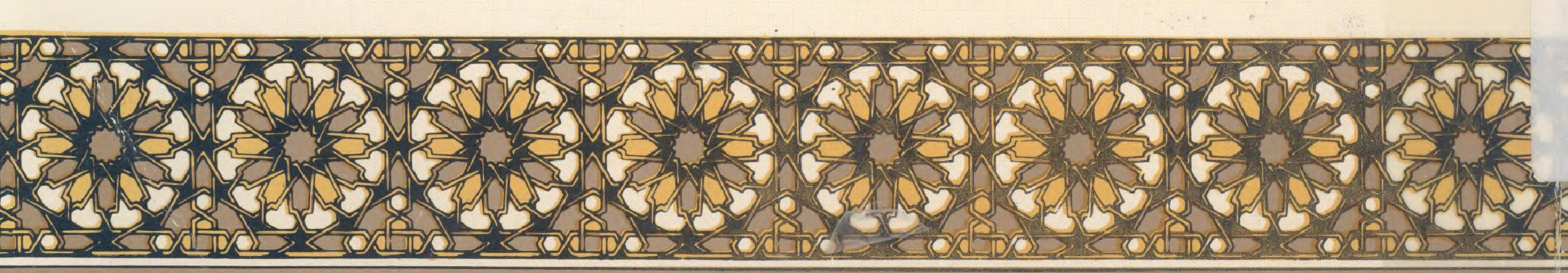
علا عبد العزيز أبو زيد

مصطفى محمود منجود

نادية محمود مصطفى

نصر محمد عارف

ودودة عبد الرحمن بدران



المشرف العام ورئيس الفريق

١ – أ. د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

الباحثـــــــــــــون

٢ – أ. د. أحمد عبد الونيـــــس شتا

أستاذ مساعد القانون الدولي العام

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٣ – أ. د. سيف الدين عبد الفتاح اسماعيل

أستاذ مساعد النظرية السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٤ – د. عبد العزيـــــــز صقر

دكتوراه في العلوم السياسية

جامعة الاسكندرية

٥ – أ. د. علا عبد العزيز أبو زيد

أستاذ مساعد العلوم السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٦ – أ. د. مصطفى محمود منجود

أستاذ مساعد الفكر السياسي

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٧ – أ. د. نادية محمود مصطفى

أستاذ العلاقات الدولية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٨ – د. نصر محمد عـــــــارف

مدرس العلوم السياسية

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

٩ – أ. د. ودودة عبد الرحمن بدران

أستاذ العلاقات الدولية ووكيل

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

المستشـــــــارون

١٠ – أ. د. حورية توفيق مجاهــــد

أستاذ الفكر السياسي ورئيس قسم العلوم

السياسية الأسبق كلية الاقتصاد

والعلوم السياسية – جامعة القاهرة

١١– أ. د. سعيد عبد الفتاح عاشور

أستاذ التاريخ – كلية الآداب

جامعة القاهرة

١٢ – أ. د. عبد الحميد أبو سليمـــان

أستاذ العلاقات الدولية ورئيس

الجامعة الإسلامية العالمية – ماليزيا

١٣ – أ. د. علي جمعـــه محمد

أستاذ أصول الفقه – كلية الدراسات العربية

والإسلامية – جامعة الأزهر

المســـــــــــاعدون

١٤ – أ. ابراهيم البيومـــي غانم

١٥ – أ. إحسان سيد عبد العظيم

١٦ – أ. أحـــمـد عـــبـد الســـلام

١٧ – أ. تهـانـي عـبـــــلان

١٨ – أ. حامد عبد الماجد قويسي

١٩ – أ. طارق الســعـيـــد

٢٠ – أ. عـبـد الســلام نوير

٢١ – أ. مـجدى مـحـمـد عيـسى

٢٢ – أ. مـحـمـد عـاشـور مهـدى

٢٣ – أ. محى الدين محـمد قاسم

٢٤ – أ. فـــــوزى خـلـيـل

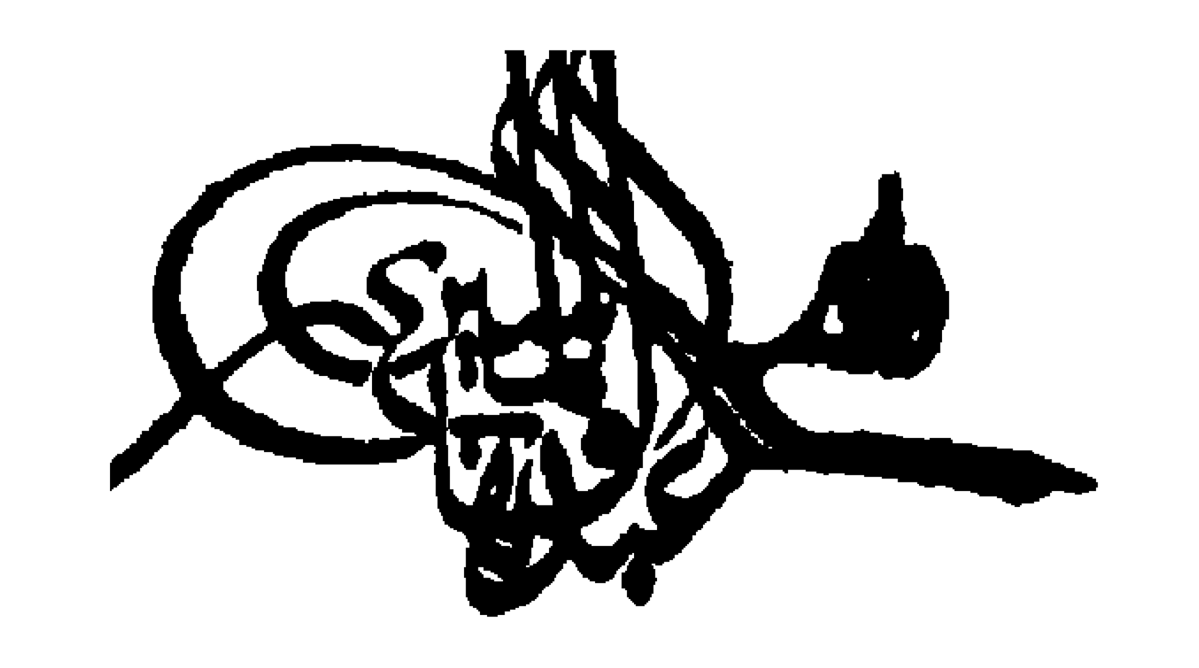
٢٥ – أ. ناهد عـرنـــــوس

٢٦ – أ. هـــاشـــم طـــه

٢٧ – أ. هبـــه رؤوف عـزت

٢٨ – أ. هشـام جـعـفـــر

تم ترتيب الأسماء حسب ترتيب الحروف الهجائية .



الدولة الأموية... دولة الفتوحات

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

الدولة الأموية... دولة الفتوحات

٤١ - ١٣٢هـ - ٦٦١-٧٥٠م

من استئناف الدولة الأموية القوى والمؤثر لحركة فتوحات الراشدين إلى بلوغ المد الفتحي حدوده الطبيعية في المشرق والمغرب

د. علاء عبد العزيز أبو زيد

المعهد العالمى للفكر الإسلامى

القاهرة

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

(مشروع العلاقات الدولية فى الإسلام ؛ ٨)

المعهد العالمى للفكر الإسلامى
٢٦ب - ش الجزيرة الوسطى - الزمالك - القاهرة - ج. م. ع.

بيانات الفهرسة أثناء النشر - مكتبة المعهد بالقاهرة :

أبو زيد ، علا عبد العزيز .

الدولة الأموية .. دولة الفتوحات ٤١-١٣٢هـ ؛ ٦٦١-٧٥٠م/ علا عبد العزيز أبو زيد.-ط١ .- القاهرة :المعهد العالمى للفكر الإسلامى، ١٩٩٦.

ص. سم. - (مشروع العلاقات الدولية فى الإسلام ؛ ٨)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية .

تدمك ٠- ٤٧ - ٥٢٢٤ - ٩٧٧ .

١ - الدولة الأموية (٦٦١-٧٥٠م)- العلاقات الخارجية

أ - العنوان . ب - (السلسلة)

رقم التصنيف : ٣٢٧ .

رقم الإيـداع : ٧٢٢٧ / ١٩٩٦ .

المحتويات

المقدمة

اقتسم العالم (النظام الدولى) غداة ظهور الإسلام قوتان عظميان هما الامبراطورية الفارسية والامبراطورية البيزنطية ، وتاريخ القرون الثلاثة السابقة على ظهور الإسلام هو تاريخ الصراع بين هاتين القوتين ، ولقد ترك هذا الصراع الطويل آثاره السلبية على النسيج الاجتماعى والمؤسسات السياسية والموارد الاقتصادية والقوة العسكرية لكلتا الامبراطوريتين اللتين كانتا تشرفان بحدودهما على الجزيرة العربية ، حيث ولد الإسلام نظاما للحياة أدى إلى ظهور دولة فتية في وقت تهيأ فيه المسرح الدولى لاستقبال قوة جديدة تنازع القوتين المخضرمتين السيطرة على العالم القديم(1) .

ولقد كان أثر هذين العاملين ، السلبى ، والمتمثل فى تدنى ظروف الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية ، والايجابى، والمتمثل فى الدور الموحد للاسلام ، حاسما فى انجاح وثبة المسلمين الأولى على الامبراطوريتين أيام الراشدين . فلقد استطاع المسلمون في زمن قياسى أن يقوضوا أركان الامبراطورية الفارسية فمحوها من على الخريطة الدولية، كما نجحوا أيضا فى وثبتهم الاولى تلك فى انتزاع الشام ومصر وشمال أفريقيا من الامبراطورية البيزنطية وفى أن يهددوا الحدود الجنوبية للدولة البيزنطية حيث كانت تجرى معارك بين المسلمين والبيزنطيين على طول هذه الحدود(2) . ولم يوقف حركة الفتوحات الإسلامية الاولى إلا أحداث الفتنة التى شهدتها المراحل الأخيرة من خلافة عثمان بن عفان وماتلاها من حروب داخلية بين الخليفة الراشد على بن أبى طالب وبين معاوية بن أبى سفيان والى الشام حينئذ ، ولقد أدت هذه الفتنة إلى انشغال المسلمين عن تثبيت اقدامهم فى البلاد التى فتحوها ، وعن نشر الدعوة ، مما يعكس الأثر السلبى للخلافات الداخلية على وضعية الدولة الإسلامية الناشئة على الساحة الدولية .

---

1) انظر تفاصيل عوامل ضعف الامبراطوريتين وقت ظهور الإسلام .

- محمد عبد الله عنان، مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام- (القاهرة:مؤسسة الخانجى -ج1،1962)ص ص9-18 .

2) المرجع السابق ، ص 34 .

وهذه السلبية سوف تصبح نمطا يتكرر مرات عديدة فى التاريخ الإسلامي، فأضحت الخلافات الداخلية عاملا مهددا لوجود ومكانة الدولة خاصة فى لحظات الضعف .

وهكذا فانه بعد خمس سنوات من فتنة عثمان ستطوى الأمة الفتية هذه الصفحة الحزينة من الصراعات الداخلية عندما ينجح معاوية بن أبى سفيان عام ٤١هـ-٦٦١م فى تأسيس الدولة الأموية لتستعيد الدولة الإسلامية قوتها من جديد ولتستأنف اكتساحها لسواد العالم القديم شرقه وغربه ، فعام ٤١هـ من الهجرة يعتبر نقطة تحول خطيرة فى التاريخ الإسلامي بصفة عامة وفى تاريخ العلاقات الدولية بصفة خاصة .

فبالنسبة لأمة الإسلام فان أحداث فترة الخمس سنوات التى استغرقتها فتنة عثمان وحروب على ومعاوية قد شهدت بدايات معظم الفرق المذهبية الرئيسية ذات التوجهات السياسية المتباينة والتفريعات العقيدية المختلفة والتى سيعرفها الفكر السياسى الإسلامي على طول تاريخه، وسوف ينجح معاوية فى عام ٤١ فى لم شمل الأمة قبل أن تتفتت تماما وبعد أن كاد الأمل يضيع فى امكانية الحفاظ على الوعاء الذى يوحد الأمة ويحفظ الشريعة فأقام دولة قوية استطاع أن يبدأ بها مرحلة نشطة فى العلاقات الدولية والتى كان قطباها حينئذ هما الدولة الأموية والدولة البيزنطية .

فقد أثبت خلفاء بنى أمية أنهم على قدر عال من الاقتناع بسياسة رسول الله الخارجية ، فالدولة الأموية استوعبت حجم وطبيعة الخطر القادم من الدول غير الإسلامية على الإسلام وآمنت أن خير وسيلة لمواجهة هذا الخطر هى الهجوم وليس الدفاع(١) أما غايتها النهائية من تعاملها الخارجى فكان حمل راية الإسلام إلى أرجاء العالم القديم كله ، وهذه الغاية لها دلالة عظيمة فيما يتعلق بشكل النظام الدولى التى كانت الدولة الأموية تسعى إلى اقامته .

فالنظام الدولى السابق على ظهور الدولة الإسلامية كان نظاما ثنائى الأقطاب تتنازعه الدولتان الفارسية والبيزنطية ، وقيام الدولة الإسلامية لم يغير من نمط هذا النظام الدولى حيث

---

١) عبد العظيم رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية - (القاهرة : دار المعارف - ١٩٨٣) - ص ٧٦ .

قضى المسلمون على الدولة الفارسية ليحلوا الدولة الإسلامية محلها وليستمر النظام الدولى ثنائى الأقطاب ولكن مع تغير احد قطبى النظام ، أما نقطة التحول الحقيقية التى يشكلها صعود الدولة الأموية عام ٤١ هـ فتتمثل فى ايمانها بضرورة أن تحمل رسالة الإسلام إلى أقطاب الأرض المعمورة، و لم يكن هذا ليعنى إلا شيئا واحدا وهى أنها كانت تريد أن تحول النظام الدولى من نظام ثنائى الأقطاب إلى نظام يتحكم فيه قطب واحد وهو الدولة الإسلامية .

ومن هنا نستطيع أن نفهم بُعد الاستمرارية فى سياسة التعامل الصراعى للدولة الأموية فى المجال الدولى ، ففى ظل الدولة الأموية استأنف المسلمون اكتساحهم لسواد العالم القديم فأحيوا حركة الفتوحات الكبرى متوغلين فى أقطار الدولة البيزنطية حتى مياه البوسفور شرقا كما فتحوا شرق العالم القديم حتى اقتربوا من حدود الصين، ثم وصلوا حتى شاطىء المحيط الاطلنطى غربا عابرين إلى اسبانيا ومنها مقتحمين غرب أوربا حتى قلب فرنسا وضفاف اللورين فبلغت بذلك حدودا لم تتجاوزها الدولة الإسلامية بعدها كدولة واحدة ، وامتدت الدولة فى عهدهم من الصين شرقا إلى بلاد الاندلس وجنوب فرنسا غربا ، وتوزعت فتوحاتهم على أربع جبهات فى وقت واحد مما يدلل على أن السياسة الحربية الفتحية كانت هى نشاط الأمويين الأساسى، فكانت هناك الجبهة البيزنطية والجبهة الأوربية (اسبانيا وفرنسا) والجبهة الافريقية (شمال أفريقيا) وكذلك الجبهة الشرقية والتى امتدت من العراق إلى الشرق حيث تفرعت .

أما على الجانب الإسلامي : فكانت الميزة الأساسية التى ميزت العصر الأموى : هو وجود فاعل اسلامى واحد هو الدولة الأموية وانعدام وجود أنساق اسلامية فرعية تدخل فى علاقات تفاعل دولى مع أطراف غير اسلامية ، فالنظام الدولى وقت العصر الأموى كان كما ذكرنا نظاماً ثنائى الأقطاب طرفاه الدوليان هما الدولة الأموية والدولة البيزنطية ، وهذا يفسر حدة الصراع بينهما حيث اتسمت علاقاتهما الدولية بالتركز لا بالتشتت .

وندرس فى هذا البحث تفاعلات الدولة الأموية بالأساس مع الدولة البيزنطية؛ وينقسم البحث إلى فصلين يدرس أحدهما مرحلة تعبير الدولة الأموية الايجابى عن سياسة التعامل الدولى التى أمنت بها،ويبرز الفصل الثانى سلبية الدولة الأموية فى تنفيذ استراتيجيتها الخارجية . ويثبت البحث كيف أن عوامل داخلية وأخرى خارجية قد تضافرت من أجل تحديد نمط العلاقة فى كل مرحلة .

الفصل الأول :

مرحلة بناء هيكل سياسة التعامل الدولى للدولة الأموية ووضعها موضع التنفيذ :
٤١ – ١٠٠ هـ / ٦٦١ – ٧٢٠ م

المبحث الأول : أسس التعامل الخارجى للدولة الأموية ·

المبحث الثانى : المد الإسلامي فى الجبهة الغربية ·

المطلب الأول : بلاد الروم ·

المطلب الثانى : جزر البحر المتوسط ·

المطلب الثالث : شمال أفريقيا والتمهيد لفتح الأندلس·

المبحث الثالث : المد الإسلامي فى الجبهة الشرقية

الفصل الأول

مرحلة بناء هيكل سياسة التعامل الدولى للدولة الأموية
ووضعها موضع التنفيذ : مرحلة المد ٤١هـ – ١٠٠هـ

مقدمة :

تولى أمر الدولة الأموية صبيحة تأسيسها معاوية بن أبى سفيان الذى كان والياً على الشام لأكثر من عشرين سنة متصلة فى زمن خلافة كل من عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان على التوالى ، وفى اقليم الشام تاخمت حدود الدولة الإسلامية الدولة البيزنطية، كما جاورت ممتلكات تلك الامبراطورية فى حوض البحر المتوسط الشرقى سواحل الشام .

وهكذا هدد الخطر البيزنطى اقليم الشام برا وبحرا ، ووقع عبء مجابهة هذا الخطر فى معظم الوقت على معاوية بن أبى سفيان والى الشام ، وكان لخبرته القتالية الطويلة مع الروم أثر واضح فى تشكيل استراتيجية التعامل معهم وفى توجيه قناعته بماهية وطبيعة السياسة الملائمة للتعامل معهم تنفيذا لهذه الاستراتيجية ، وكانت المواجهة القتالية المستمرة مع الروم البيزنطيين هى الأسلوب الذى ارتأه أنسب للتعامل معهم ، وكان توليه أمر المسلمين الفرصة التى ساعدته على تحويل تلك القناعة الشخصية إلى سياسة دولة ، ساعده على تبنى مجموعة من العوامل الداخلية الايجابية أهمها وجود جيش قوى ولاؤه الأول والأخير للخليفة ، وموارد اقتصادية هائلة تدرها الأمصار، وقرب عهد بالإسلام وفر أعداداً هائلة من المتطوعين المؤمنين بهذه السياسة بوصفها رسالة، وهكذا توافرت مع القناعة الشخصية لمعاوية مجموعة من العوامل الداخلية المساعدة أدت إلى انجاح سياسة مد فتحى كبرى ستستمر حتى عام ١٠٠هـ .

المبحث الأول : أسس التعامل الخارجي للدولة الأموية :

لقد وعى معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية دروس فتنة عثمان وماتلاها من حروب بينه وبين على بن أبى طالب فأدرك أن فعالية التعامل الخارجي تتوقف على مدى تماسك واستقرار الجبهة الداخلية ، فرغم أن الروم كانوا قد تلقوا ضربات قاضية من المسلمين أثناء الوثبة الاولى فى عهد الراشدين خاصة فى موقعة ذات الصوارى التى مكنت للأسطول الإسلامي فى حوض المتوسط بعد أن كان حكرا على الدولة البيزنطية ، الا أنهم تمكنوا اثناء أحداث الفتنة من استرداد بعض أجزاء من أرمينيا وكذا قبرص وردوس من جزر البحر المتوسط(١) ، ومن ثم حدد معاوية فى بداية خلافته للمسلمين الصلح الذى كان أبرمه مع قسطنطين الثانى امبراطور الروم ابان حربه مع على بن أبى طالب، وكذا صالح قبائل الجراجمة من سكان منطقة الحدود بينه وبين الدولة البيزنطية فى نفس الفترة(٢) .

ولقد كان صلح معاوية مع الروم البيزنطيين وكذلك مع القبائل التى تثير القلاقل فى منطقة حساسة من أطراف الدولة بمثابة خطوة تكتيكية محسوبة تضمن له ابعاد أو على الأقل تحييد الأخطار الخارجية ليتفرغ للمهمة العاجلة الواجب أن يفتتح بها حكمه وهى تدعيم الجبهة الداخلية وحل المشاكل التى خلفتها أعوام متتالية من الصراع الداخلى، وأول ماعمد اليه معاوية هو العمل على توحيد الجبهة الداخلية قدر المستطاع ورأب الصدع الذى خلفته الصراعات، ولقد اتبع فى هذا الصدد خطين متوازيين من التحرك: الأول الذى كان يستهدف تقريب من غرّبته الفتن والحروب خاصة من الشخصيات المحورية التى قد يُخشى من تأثيرها على العامة لغير صالح النظام الأموى من أمثال الحسن بن على وعبد الله بن الزبير وقيس بن سعد بن أبى وقاص(٣).

---

١) المرجع السابق ، ص ص ٩٦ - ٩٧ .

الخطيب ، دراسات تحليلية ، م . س . ذ ، ص ١٦٢ .

٢) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية - عصر الخلفاء الامويين - (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ج١ ، ١٩٨٢) ص ٣٥ .

- أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب- (بيروت:دار المكشوف،١٩٥٥) .

٣) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م . س . ذ ، ص ص ٨٤ - ٨٥ .

أما الثانى فكان هدفه ازالة التناحر القبلى بين عرب الشام وعرب الجنوب . ولقد عمد هنا إلى أسلوب المصاهرة من أكبر قبائل عرب الجنوب حيث كان هو من عرب الشمال، كما أنه كان يتعامل مع القبيلتين وفق ميزان عدل لايميل إلى احداهما على حساب الأخرى(١) .

ثم إنه نظر بعد ذلك إلى الأمصار . فبالنسبة للشام معقله منذ أكثر من عشرين عاما وموطن شيعته ومناصريه فانه نقل اليها عاصمة الدولة الاسلامية، و لم يكن نقل العاصمة من المدينة إلى دمشق مجرد انتقال من مكان يموج بالقلاقل والمناوئين إلى مكان يتمتع بالاستقرار ويسكنه الموالون ، ولكنه كان تعميما لتوجه الدولة الأموية نحو الصراع مع الدولة البيزنطية ، فدمشق القريبة من الحدود البيزنطية جعلت وجه الدولة الإسلامية شاخصا إلى الغرب حيث بدأت سياسة توسع اسلامى كبرى فى هذا الاتجاه(٢). ثم انه نظر أيضا إلى العراق لموقعه الهام بالنسبة للفتوحات ، ولما كانت قد أيدت على بن أبى طالب أثناء الفتنة فلقد ندب اليها ولاة عرفوا بالشدة لضمان السيطرة عليها، وكان الحجاج بن يوسف من أشد الولاة واستطاع بالفعل أن يقر الأوضاع فى العراق واستثمر هذا فى صرف الهمم إلى الفتوحات فبلغت فتوحات الجبهة الشرقية سواء فى السند أو بلاد ماوراء النهر أوجها أيام الحجاج وبلغ الإسلام مناطق لم تطأها أقدام المسلمين قبلا(٣) ، ثم انه اهتم اهتماما قويا بتأسيس جيش قوى يكون ولاؤه الأول والأخير للخليفة الأموى ليكون عدته فى تنفيذ مشاريعه الحربية ، ولقد جعل قوام هذا الجيش الأساسى من جند الشام الموالين له شخصيا ، وكذلك عمد إلى انتقاء مجموعة من خيرة القادة العسكريين لقيادته(٤).

1- M.A.Shacban , Islamic History : A New Interpretation (London : Cambridge Universty Press , 1971) .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م . س . ذ ، ص ٧٦ .

٣) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م . س . ذ ، ص ٩ .

4) Shacban , op. cit , pp 80 - 81 ; Marshall G.S. - Hodgson , The Venture of Islam , Vol 1 : The classical Age of Islam (Chicago , London : The Universty of Chicago press, 1974) P.218.

بعد أن أمن معاوية الجبهة الداخلية باتباع مجموعة من الخطوات التى سوف تثبت فعالية واضحة فى زمن خلفائه الذين سيتمسكون بها ، عمد إلى رسم الخطوط العريضة لسياسات التعامل الخارجى للدولة الأموية والتى استمرت منهاجا لها حتى زالت ، ولعل المعلم الرئيسى لسياسة التعامل الخارجى للدولة الأموية يتلخص فى عبارة واحدة هى أن الهجوم خير وسيلة للدفاع فأمن الدولة يتحدد عن طريق تمددها وتوسعها المستمرين ومن ثم فإن تقوية الحدود وتدعيمها بحصون وقلاع ثابتة بغرض تأمين الدولة داخلها لم يكن وارداً فى خطة الأمويين ، فتأمين الدولة يتم باتباع سبيل واحد هو العمل المستمر على ضم مناطق جديدة وهذه السياسة يمكن أن نطلق عليها اسم سياسة تداعى الفتوحات ، فمثلا نجد أن الدولة الأموية قد آمنت بأن تأمين فتوحات الشام انما يستدعى السيطرة على المناطق المتاخمة له من الشمال والشمال الشرقى (ارمينية) والجنوب والجنوب الغربى (مصر) والغرب (جزر البحر المتوسط الشرقية) ثم إن تأمين فتوحات مصر استدعى فتح افريقية (تونس) ، وهذا بدوره تطلب فتح المغرب الأوسط (الجزائر) ثم المغرب الأقصى (المغرب) وبذلك أصبح المسلمون فى مواجهة القوى غير الإسلامية الاوربية فى الغرب بنفس القدر الذى واجهوا به الدولة البيزنطية فى الشرق وسوف يؤدى هذا إلى فتح جبهة جديدة للمواجهة بين المسلمين والقوى غير الإسلامية كما سوف نرى ، خاصة فى العصر العباسى. فعلى هدى الظروف الجغرافية اذن كانت تسير الفتوحات الأموية برا من أجل رفع راية الإسلام[1].

ولم يختلف الأمر فى البحر عنه فى البر فبعد احتلال قبرص فى البحر المتوسط الشرقى أيقن الامويون ضرورة عدم التوقف عن هذا الحد ، فمواصلة الاستيلاء على الجزر التابعة للروم فى شرق هذا البحر كانت حتمية وفقا لسياسات الأمويين الخارجية، فشرق البحر المتوسط تنتشر فيه الجزر التى تقسمه إلى بحار داخلية صغيرة يتصل بعضها ببعض عن طريق مضايق وفتحات صغيرة تتحكم فى مداخلها أطراف تلك الجزر ، فكانت هذه المضايق أشبه بأعناق الزجاجات

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م . س . ذ ، ص ص ٩٦ - ١١٦ .

- فتحى عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى (القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، د.ت) ص ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .

تكفل للمسيطر عليها تمام السيطرة والسيادة على مايليها من بحار داخلية ومايطل على هذه البحار من أراض وبلاد، ومن ثم سار الأمويون فى استيلائهم على هذه الجزر وفق خطة منطقية محدد مسارها بدقة تهدف إلى تأمين سلامة الفتوحات الإسلامية فى البر عن طريق الاستيلاء على الجزر القريبة المجاورة مباشرة لتلك الأراضى المفتوحة ثم متابعة الاستيلاء على غيرها من الجزر التى تتحكم فى أكبر عدد من المضايق البحرية وذلك لسد كل المنافذ والطرق أمام الاساطيل البيزنطية اذا مارغبت فى مهاجمة الأراضى المفتوحة من جهة البحر(١) .

وربما كان اهتمام الأمويين باتباع سياسة جهاد إسلامي واسع فى البحر راجعاً إلى أن الطرف الدولى الذى كانوا يتعاملون معه – نعنى الدولة البيزنطية- كان يعتمد على أسطول بحرى قوى لتحقيق سطوته العسكرية وتسيده العالمى .

ولقد أدرك معاوية مؤسس الدولة الأموية أثناء فترة ولايته الطويلة للشام والتى احتك فيها عن قرب بالروم البيزنطيين أن قوتهم البحرية هي العامل ذو الأثر القوى فى بقائهم كدولة ، ثم أنه خبر أثناء اشتراكه فى فتح مدن الشام الساحلية مدى خطر الاسترداد المعرضة له تلك المدن المفتوحة نتيجة الهجمات البحرية عليها والتى كانت تنطلق من قواعد الروم البحرية(٢) .

ولعل قوة البيزنطيين البحرية كانت السبب المحورى فى تبنى معاوية سياسة الهجوم خير وسيلة للدفاع واقتناعه المبكر بها ، فتعرض مدن الشام الساحلية المستمر لغزوات الروم البحرية دفعه لأن يطلب من الخليفة عمر بن الخطاب أثناء توليه حكم الشام ضرورة نبذ السياسة البحرية الدفاعية للدولة الإسلامية والمتمثلة فى وضع حاميات على الشواطيء لصد الهجمات البحرية واستبدالها بسياسة هجومية تعتمد على أسطول اسلامى قوى يقف من الاسطول البيزنطى موقف الند تكون مهمته ليس انتظار هجمات البيزنطيين لصدها وإنما المبادرة بالاستيلاء على جزر البحر المتوسط التابعة للبيزنطيين والتى تشكل قواعد لهم ، و لم ييأس

---

١) ابراهيم أحمد العدوى، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط (القاهرة ، مكتبة نهضة مصر،د٠ت) ص ٣٦ ٠

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ص ٧٩ - ٨٢ ٠

العدوى ، قوات البحرية ، م٠ س٠ ذ ، ص ص ١٢ ، ١٥ - ١٨ ٠

معاوية عندما رفض عمر طلبه فحاول مع عثمان بن عفان ونجح فى اقناعه بسياسته الهجومية فانطلق يغزو قبرص ثم يفتحها عامى ٢٨ هـ ، ٣٢ هـ لتضحى قاعدة هامة من قواعد الاسطول الإسلامي تنطلق منها السفن لصد سفن الروم قبل اغارتها على شواطىء مصر والشام ، ثم انه غزا رودس أيضا وفتحها فكان فتحها بداية لنشاط بحرى إسلامى اتسم بالاغارة صيفا وشتاء على حزر الروم التى يخشى أن ينبعث منها ما يصيب الشام أو مصر[1]. ثم إن نقل عاصمة الدولة الإسلامية من المدينة إلى دمشق دعم أيضا من السيادة البحرية للدولة الأموية حيث ساهم فى تغيير سياسة الدولة من كونها دولة قارية إلى جعلها دولة بحرية تهتم بالتوسع فى البحر المتوسط[2].

والواقع أن سياسات التعامل الخارجى لمعاوية الخليفة لم تكن الا استمرارا ودعما لسياسته كوالٍ للشام ، والذى تغير كان فقط امتلاكه كخليفة قدرة القول الفصل فى امضاء السياسة التى يرتأى صوابها ، وهكذا ما أن تولى أمر المسلمين وما أن أمن الجبهة الداخلية حتى وضع سياسته الهجومية موضع التنفيذ برا وبحرا ، وهى السياسة التى بلغت ذروتها بمحاصرة القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية[3] .

---

١) عدوى ، قوات البحرية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٢٥ - ٣٦ .

عنان ، مواقف حاسمة ، م٠س٠ذ ، ص ٤٨ .

عثمان ، الحدود الإسلامية ، م٠س٠ذ ، ص ٣٦١

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ٩٦ .

٣) ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية،م٠س٠ذ، ص٣٦ .

المبحث الثانى : المد الإسلامي فى الجبهة الغربية :

أعاد معاوية كرة الصراع مع الروم البيزنطيين فور تأمين الحبهة الداخلية وأدار الصراع معهم وفقا لمعالم السياسة الخارجية التى أشرنا لها فى المبحث السابق ، وإذا كانت آسيا الصغرى من أهم المناطق التى شهدت الاحتكاك بين الدولة الاموية والامبراطورية البيزنطية ، فان التفاعل الصراعى معهم لم يقتصر على هذا الجزء من الامبراطورية البيزنطية بل امتد إلى أملاك أخرى لها فى البر -خاصة فى شمال أفريقيا وبتأثير فتح المسلمين لمصر- وأيضا إلى أملاكها فى البحر المتوسط ، وهكذا كانت الجبهة الغربية هى ثلاث جبهات فى الواقع : بلاد الروم ، وشمال أفريقيا ، وجزر البحر المتوسط .

المطلب الأول : بلاد الروم :

لم تنقطع غارات الأمويين أبدا فى منطقة بلاد الروم وعاصمتهم والمعروفة اليوم باسم بلاد الأناضول إلا فى فترات الفتن الداخلية .

ولقد وصلت تلك الغزوات بالمسلمين حتى أقدام جبال طوروس حيث أقاموا الثغور والقلاع التى كانت تخرج منها الغزوات دوما خاصة فى أوقات الضعف وعدم الاستقرار الداخلى للروم مستهدفة فى معظم الأحيان جذب قوات الروم إلى القلب وشغلها بالقتال هناك حتى يتسنى للمسلمين فتح مناطق جديدة وانتزاعها من يد الروم البيزنطيين(١) . وبالاضافة إلى هذا اهتم الأمويون كثيرا بالصوائف والشواتى التى استهدفت انهاك قوة الروم وشغلهم فى عقر دارهم بسلسلة لاتنقطع من الحملات صيفا وشتاء ، برا وبحرا ، والتى كانت تعمل كمدرسة لتخريج جيل جديد مدرب من المحاربين والقادة العسكريين(٢). ونستطيع أن نرصد فى عهد معاوية على سبيل المثال احدى عشرة شاتية فى احدى عشرة سنة وشاتيتين فى سنة واحدة إلى جانب

---

١) المرجع السابق ، ص ص ٤٠ - ٤١ .

عثمان ، الحدود الإسلامية ، م.س.ذ ، ص ٣٦٦ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ٩٧ .

أربع سنوات خرج فى كل منها صائفة وشاتية(١) ، ثم إن الامويين لجأوا أيضا فى تعاملهم الخارجى مع الروم البيزنطيين إلى سياسة احاطتهم بطوق من النفوذ الإسلامي ليس فقط عن طريق الاستيلاء على مناطق الحدود ولكن كذلك عن طريق معاهدة الأقليات غير المسلمة التى كانت تسكن فى تلك المناطق عندما يثبت أن محاولات القضاء عليهم قد تكون مكلفة بأى معنى من المعانى، ومن أهم الأقليات التى كانت تسكن مناطق الحدود مع الدولة البيزنطية والتى لجأت الدولة الأموية إلى معاهدتهم الجراجمة والسلاف والأرمن(٢) ، ولقد استخدم الأمويون الجراجمة فى نقل أخبار الروم لهم بالرغم من كونهم مسيحيين ومن أنهم كانوا أيضا مواطنين بيزنطيين حتى انسحاب الدولة البيزنطية من الاماكن التى يقطنونها حيث تركوهم خلفهم ليصبحوا فى موقف شبيه بالحكم الذاتى ، ولقد تمسك الجراجمة باستقلالهم فى مواجهة المسلمين وقاوموا محاولات الدولة الاموية اخضاعهم لسيطرتها وساعدهم على ذلك موقعهم المنيع فى الجبال والتى كانت تمثل دائما نقطة تحد كبرى لتقدم المسلمين فى فتوحاتهم(٣) .

ولقد ثبت أن سياسة معاهدة الدولة الإسلامية لقوى أو دول غير اسلامية بغرض التناصر والمساعدة هي سلاح ذو حدين ، فالجراجمة مثلا كانوا يلتزمون الحياد ويبدون رغبة فى المساعدة طالما تمتعت الدولة الإسلامية بالقوة ولكنهم كانوا دائما فى وضع تربص بهذه الدولة ينتهزون أى فرصة ضعف أو انشغال لها بأمور غير أمور المواجهة الصراعية فيبدأون باثارة القلاقل حتى أن كلاً من معاوية وعبد الملك بن مروان اضطر إلى دفع مال لهم كأحد بنود الصلح معهم أثناء انشغالهم بأمور الجبهة الداخلية وذلك لضمان عدم معاونة الجراجمة للروم ضدهم(٤).

---

١) علية عبد السميع الجنزورى ، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٩) ص ص ٢٠ - ٢٥ .

٢) عثمان ، الحدود الإسلامية ، م.س.ذ ، ص ٣٧٠ .

٣) المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

- Glubb , The Empire of the Arabs , pp 103 - 104.

4) Ibid , pp 103 - 104.

ثم إن الدولة الأموية اهتمت من أجل صراعها مع الروم فـى آسـيا الصغـرى بـالثغور الشـامية والجزرية فجعلت وظيفة الثغور الجزرية الأساسية هي حماية الدولة الإسلامية من هجمات الروم البيزنطيين في حين حددت للثغور الشامية مهمة الهجوم على الدولة البيزنطية ذاتها(١)• ويرجع الفضل إلى معاوية في اقامة نظم عسكرية وادارية فعالة في الثغور مكنتهـا مـن القيـام بوظائفهـا على خير وجه ، فلقد رأينا أن الدولة الإسلامية فـى عهد الخلفاء الراشدين كانت تنظر إلى مدن السواحل بوصفها مصدر خطر دائم لا حد أمان لأنه كان من السهل مهاجمتهـا فـى ظـل سـوء الأوضاع بها وضعف حاميتها لجهل المسلمين - الأمة البريـة التقـاليد والعقليـة بأسـاليب فعالـة لتحصينها(٢) •

كانت المدن الساحلية في بداية الفتوحات الإسلامية -اذن- حدودا ونهايات فجـاء معاويـة ليحولها إلى نقط للوثوب والانطلاق حتى تخدم سياسته التوسعية ، ومـن ثـم عمـل علـى وضـع برنامج للثغور يضم إلى جانب ترميم الحصون واقامة أبراج الحراسة والمراقبة والعمل علـى بنـاء الأربطة وتشجيع اقامة الجند في هذه الثغور، ولقد قرن معاوية الرباط بمفهوم الجهـاد حتـى أنـه نجح في جذب كل أتقياء عصره إلى الأربطة التي أقام معظمها في مناطق الحدود بالشام ، ولقد طور معاوية من مفهوم الرباط بحيث لم يعد مجرد حصن يتجمع فيه الجند للدفاع ضـد الغـارات بل أضحى بالأساس قاعدة للهجوم وشن الغارات وليس صدها(٣).

ثم أن معاوية عمد أيضا إلى تشجيع الاهالى على النزوح إلى منـاطق الثغـور والاسـتقرار بهـا فكان يقطع من يستقر في أحد هذه الثغور أرضا هناك مما ترتب عليه ازدياد العمـران فـى هـذه

---

١) الجنزورى ، الثغور البرية الإسلامية ، م٠س٠ذ ؛ ص ص ٢٠ - ٢٥ •

٢) هاشم اسماعيل الجاسم، دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربى للشام فى نهاية العصر العباسى الأول - رسالة ماجستير - كلية الأداب - جامعة القاهرة - ١٩٧١ - ص ٧٩ •

٣) المرجع السابق ، ص ٨٩

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية : تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الاموية (الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية -د ت) ص ٣٣٩ •

المناطق واستماتة اهلها فى الدفاع عنها بوصفها أرضهم(١) وسوف نلحظ أن هذا سيصبح نمطاً بعد ذلك فى الأراضى المفتوحة خاصة فى الأماكن البعيدة عن مركز الخلافة حيث سنلحظ عدم استقرار الفتح الإسلامي إلا عندما يستوطن المسلمون الأرض ويستقرون بها فيتحولوا من مجرد جند فاتحين إلى سكان مقيمين .

ولقد أثبت معاوية عن اقتناعه بسياسة الهجوم والمواجهة مع الدولة البيزنطية بالعودة السريعة إلى منازلتهم بعد أن اطمأن إلى الأمور فى الداخل ، فسرعان مانقض عهده مع امبراطور الروم عام ٤٢هـ ، وكان أول ماوجه اليه نظره هو أرمينية التى كانت قد وقعت للروم أثناء أحداث الفتنة ، ولما كانت ارمينيا تمثل خط الدفاع الشمالى للشام فقد جهز معاوية حملة لاستردادها عام ٤٢هـ وافتتح بذلك مواجهته مع الدولة البيزنطية، ولقد نجحت الحملة فى مهمتها واعيدت ارمينية ليعود الاهتمام الأموى بممتلكات الروم فى آسيا الصغرى ولتنظيم الصوائف والشواتى التى تتوغل فى هذه المناطق دون انقطاع تقريبا طوال مدة الغزو الأموى هذه باستثناء فترات الفتن الداخلية(٢) ورغم هذه الغزوات المتتابعة على قلب الامبراطورية فى آسيا الصغرى إلا أن الهدف النهائى للدولة الأموية من الغزوات كان هو قلب بيزنطة والعالم القديم وقلعة الروم المنيعة القسطنطينية التى إذا ماسقطت هى سقطوا هم .

والواقع أن معاوية بدأ التفكير والتجهيز لغزو القسطنطينية فى فترة مبكرة جداً من خلافته حيث جهز حملة عام ٤٤هـ خرجت لتصل إلى برجان على مقربة من القسطنطينية يساندها أسطول سار حتى مياه مرمرة ولكن الشتاء منعهم من حصار القسطنطينية فقنعوا ببعض الغارات المحلية ، ولقد استثمر معاوية الأعوام الأربع التالية على هذه الحملة فى اعداد جيش جرار واسطول ضخم عاقدا العزم على ضرورة النجاح فى اختراق القسطنطينية(٣) .

---

١) الجاسم ، دراسات عسكرية عن الثغور ، م٠س٠ذ ، ص ٩٠

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ص٩٦،٩٧ .

٣) عنان ، مواقف حاسمة ، م ٠ س٠ ذ ، ص ٣٦ .

ومن العوامل الهامة التي شجعت معاوية على الاسراع بمحاولة اسقاط القسطنطينية هو شعوره بأن الظروف الداخلية في الامبراطورية متردية بصورة قد تجعل أمر اسقاط العاصمة يسيرا فارتأى ضرورة اغتنام الفرصة ، ونمط استغلال كلا الطرفين الإسلامي وغير الإسلامي لسوء الأحوال الداخلية لدى الطرف الآخر لتحقيق نصر حاسم عليه سوف نلحظه قائما على طول التاريخ بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية .

فعام ٤٨هـ / ٦٨٨م وهو العام الذى قرر فيه معاوية ارسال حملة لاسقاط القسطنطينية كان قد شهد مقتل الامبراطور البيزنطى وثورة (صابو) أحد حكام المناطق المحاورة لأرمينيا ولقد توجت هذه الأحداث فترة قلاقل داخلية عنيفة نتيجة الصراع الدينى حول الطبيعة الواحدة أو الطبيعتين للسيد المسيح(١) وجد معاوية أن الفرصة سانحة ليضرب ضربته قبل أن تنظم الدولة البيزنطية أمورها وتلملم شتاتها خاصة أنه كان قد شعر بالخطورة لفترة عندما لاحظ محاولة الامبراطور المقتول توحيد الجبهة الداخلية ليتفرغ لمحاربة المسلمين بأن قضى على الثائرين فى الداخل وأخضع السلاف على الحدود بعد محاولتهم الاتصال بالمسلمين وانتصر على البابا فى نزاعهما الدينى(٢) ومن ثم رفض معاوية طلب ابن الامبراطور المقتول الصلح وارسل بطلائع قواته عام ٤٨هـ فاخترقت آسيا الصغرى وافتتحت حصوناً كثيرة فى الأناضول تمهيدا للجيش الأساسى الذى أرسل عام ٤٩هـ / ٦٦٩م والذى طُعم بكبار الصحابة -بجوار ابنه يزيد- مما أظهر ما للحملة من صفة الجهاد الدينى، ولقد حاول المسلمون عبثا اختراق أسوار القسطنطينية بعد حصارها إلا أنهم فشلوا فى ذلك فارتدوا دون خسائر كبيرة عام ٥٠هـ ٦٧٠م(٣) .

---

١) رسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى - ص ص ٣٨ - ٤١ .

٢) ابراهيم أحمد العدوى ، الأمويون والبيزنطيون : البحر المتوسط بحيرة إسلامية (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت) ص ص ٦٥ - ٧٢ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ص٩٨-٩٩ .

وكان الدرس الهام الذي تعلمه معاوية -أو لنقل تذكره- من هذه الحملة هو ضرورة تدعيم القوات البرية التي تغزو القسطنطينية بقوات بحرية ضخمة حيث تحيط المياه بالقسطنطينية من ثلاث جهات وعكف على تجهيز هذا الاسطول مدة أربع سنوات استطاع خلالها تدريبه عمليا باسترداد رودس عام ٥٢ هـ/ ٦٧٢م والتي كان الروم قد استردوها أثناء أحداث فترة خلافة عثمان ، ثم جزيرة كزيكوس عام ٥٤هـ / ٦٧٤م والتي سيجعل منها المسلمون مقرا لإدارة الحصار الثاني للقسطنطينية والذي بدأ عام ٥٤ هـ. ولقد وصلت القوات الإسلامية وحاصرت القسطنطينية برا وبحرا من ابريل إلى سبتمبر ثم ارتدت عنها مع قدوم الشتاء إلى جزيرة كزيكوس ثم عاودوا الحصار في الصيف التالي ليرتدوا في الشتاء مرة أخرى واستمر الأمر على هذا المنوال يحاصرون صيفا ويرتدون شتاء حتى عام ٦٠هـ/ ٦٧٩م عندما قرر معاوية بصفة نهائية الانسحاب فعقد صلحا مع الروم مدته ثلاثون عاما وانسحب بعد أن فقد العديد من الزعماء وثلاثين ألف مقاتل ومعظم سفن الأسطول. ومن أسباب الفشل الانهاك الذي تعرض له الجيش الأموي طوال سنوات الحصار واستخدام النار اليونانية ضد الأسطول الإسلامي،والعواصف العنيفة التي دمرت القليل الذي تبقى من سفن الأسطول أثناء الانسحاب(١).

وكان لنجاح البيزنطيين في صد المسلمين عن القسطنطينية مرتين في غضون عشر سنوات تقريبا وتمكنهم من عقد اتفاقية سلم لصالحهم معنى أعمق منالنتائج الظاهرة المادية ذلك أن غاية الأمويين من فتح القسطنطينية لم يكن بمجرد الاستيلاء على قطعة أرض اضافية وانما كان المأمول أن تضحى القسطنطينية البوابة التي تخترقها دعوة الإسلام في طريقها إلى الشعوب المسيحية في الغرب لتحقيق الهدف الدولي للدولة الاموية وهو تسيدها وحدها بوصفها حاملة رسالة الإسلام العالمية على العالم(٢).

---

١) المرجع السابق ، ص ص ٩٨ - ١٠٢ .

- د. عبد السلام الترمانيني ، أزمنة التاريخ الإسلامي ، ج١ ، مجلد ١ ، (الكويت : ١٩٨٢) ص٣٣٧ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٣٦ - ٣٨ .

- رستم ، الروم ، م.س.ذ ، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ٣٨ . =

ولذا فان فشل جيش معاوية فى مهمته مرتين لن يفت فى عضد الأمويين وسنجد أن خليفته لايقل اقداما وقوة وشكيمة عن معاوية يعاود المحاولة مرة اخرى بعد ستة وثلاثين عاما من ارتداد القوات الإسلامية من أمام أسوار القسطنطينية عام ٦٠هـ .

ومما يسترعى الانتباه هنا هو أنه رغم أن بعض المؤرخين من أمثال فلهاوزن يرى أن الدافع الأساسى الذى دفع معاوية إلى قبول الصلح هو الحالة المتردية التى أضحت عليها قواته بعد حصار دام سبع سنوات ، فان هناك مؤرخين آخرين يركزون بشدة على عنصر تماسك الجبهة الداخلية فيؤكدون أن المشاكل الداخلية التى فجرتها محاولات معاوية انتزاع البيعة لابنه يزيد حول عام ٦٠ هـ هى التى دفعته إلى عقد الصلح حتى يتفرغ لأمر الجبهة الداخلية وأنه لولا تزامن هذه الأحداث الداخلية مع تردى أحوال الجيش لما وافق معاوية على الانسحاب(١) .

ولقد توفى معاوية فى نفس عام الانسحاب من أمام أسوار القسطنطينية وقبل وفاته جاءت أحداث أخذ البيعة لابنه يزيد ولقد مات دون أن يُسلّم بالبيعة لابنه بعض من أبناء كبار الصحابة فى الحجاز وعلى رأسهم الحسين بن علىبن أبى طالب وعبدالله ابن الزبير بن العوام وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلما تولى يزيد بعدوفاة أبيه حرص على أن يقضى على كل معارضيه وحرص على أخذ البيعة من جميع الأمصار ولو بالقوة فكان هذا نذير شر وخيم وفتنة أعتى من فتنة عثمان وأشد وطأة على الأمة الإسلامية استمرت اثنى عشر عاما دون انقطاع توقف فيها الغزو والفتح على جميع الجهات وخاصة مع الروم البيزنطيين بسبب انشغال البيت الأموى خلال فترة حكم خمسة خلفاء متعاقبين بالمشكلات الداخلية الخاصة بالتمكين لحكمهم ، رغم انتقال الحكم أثناء هذه الفتنة الطويلة من البيت السفيانى إلى البيت المروانى بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية دون أن يعهد لأحد عام ٦٤هـ الا أن الفتنة لم يخمد أوارها ، ولقد عانت الأمة كل أنواع الفتن والقلاقل فى هذه الفترة فكان هناك أولاً خلع الحسين البيعة ليزيد ثم مقتل الأول وتلى ذلك ثورة ابن الزبير واستقلاله بأمصار عدة من أقاليم الدولة

- عثمان ، الحدود الإسلامية ، م.س.ذ ، ص ص ٥٢ - ٥٣ .

١) عثمان ، الحدود الإسلامية ، م.س.ذ ، ص ٥٣ .

الإسلامية دونا عن الأمويين بل واعلانه نفسه خليفة للمسلمين وتسليم أمصار عدة له بذلك حيث تجلت هنا الصراعات القبلية التى ستكون سببا رئيسيا فى انهيار الدولة الأموية فى النهاية حيث ناصر القيسية ابن الزبير فى حين انحازت القبائل اليمنية للمروانيين من بنى أمية، ثم كانت فتنة عمرو بن سعيد بن الأشدق الذى ناوأ عبد الملك بن مروان السلطة فى الشام ذاتها معقل البيت الأموى وقلعته المنيعة ، هذا فضلا عن فتن الشيعة متمثلة فى حركة المختار وفتن الخوارج وهى الفتن التى كانت تعمل بين العامة والبسطاء من الناس وتقلبهم على أصحاب السلطة من الأمويين(١) .

وكان لانشغال الدولة طوال هذه الفترة الممتدة بالفتن الداخلية آثار بالغة على علاقاتها مع الطرف الدولى المناوىء : الدولة البيزنطية نقلها من موضع الهجوم والعلو إلى موقف الدفاع والرضوخ ، فهذه الفتن قد أطمعت الدولة البيزنطية فحاولت التحرك بسرعة لاغتنام فرصة اضطراب الدولة الأموية فنقضوا صلحهم مع معاوية عام ٦٥هـ / ٦٨٥م وهاجموا منطقة الثغور فى مرعش وملطية التى كانت طريق الصوائف الإسلامية التى طالما أقضت مضاجع الروم لأنها لم تتوقف ابداً حتى فى سنوات الاعداد لحصار القسطنطينية بل وأثناء حصارها أيضا(٢) .

ولقد أضطر عبد الملك بن مروان لتجديد الصلح معهم عام ٦٦ هـ لانشغاله بالتمكين لحكمه ولكنهم عادوا ونقضوه بعد ثلاث سنوات مهاجمين سواحل الشام حيث استولوا على بعض مدنها وخربوها ، ثم إن الروم البيزنطيين لجأوا أيضا إلى الأسلوب الذى طالما كان يستخدم من قبل الطرفين وهو محالفة ساكنى الحدود ، حيث نجح الروم فى اقناع الجراجمة باثارة القلاقل رغم شروط صلحهم مع معاوية ، فكانوا مصدر كثير من المتاعب للدولة الأموية فى هذه الفترة الحرجة وكذلك نقض أهل ارمينيا عهدهم مع الدولة الإسلامية فى ذات الفترة(٣) .

---

١) انظر تفاصيل احداث الفتنة فى :

رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ١٠٢

شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ١٣٣ - ١٦٩ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ١٠١ - ١٠٢

٣) المرجع السابق ، ص ص ١٠٢ - ١٠٣ . =

وفى عام ٧٠ وصلوا المصيصة ونزلوها مستهدفين دخول الشام ذاتها فما كان من عبد الملك بن مروان الا أن سارع بمهادنتهم على مال يحمله لهم اسبوعيا كما فعل نفس الشيء مع الجراجمة(١).

واذا كانت أحداث الفتن الداخلية من ٦٠ هـ - ٧٢هـ قد ادت إلى انكسار الدولة الاموية فى صراعها مع الروم البيزنطيين ، فانه ما ان استقرت الأوضاع فى الداخل -ولو جزئيا- حتى بدأ الأمويون يعاودون الهجوم بعنف ويحققون الفتوحات والانتصارات ، فما ان بويع عبد الملك بن مروان فى العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير عام ٧١هـ - ٦٩١م ثم فى الحجاز واليمن بعد مقتل عبد الله بن الزبير ٧٢هـ - ٦٩٢م (وكان قد بويع خليفة فى مصر والشام عام ٦٤هـ) فحقق للبيت المروانى الشرعية السياسية والدينية حتى نقض صلحه مع الروم وعاود منازلتهم فردهم فى الاناضول وارمينيا واستعاد بعض ماكانوا قد استردوه أثناء انشغاله بالداخل(٢) كما انه عاود الصوائف مرة اخرى بعد توقف طويل بسبب أحداث الفتنة. وتجدر التذكرة هنا أن هذه الصوائف لم تتوقف لمدة سبع سنوات متتالية كما ذكرنا سابقا وفى هذا دلالة خطيرة على مدى تأثير البيئة الداخلية على فاعلية التفاعل الخارجي فى ذلك الوقت حيث إنها أظهرتهم وقد استعادوا قدرتهم على الهجوم مرة اخرى(١) .

ولكن سرعان ماأصيبت هذه الطفرة الجديدة بانتكاسة خطيرة بسبب فتنة ابن الاشعث عام ٧٩هـ - ٦٩٩م والتى جسدت عدم رضا الطبقة الارستقراطية العربية على بعض أساليب

= شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ٢٠٢ .

١) ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ١٧٣ .

- أحمد بن زينى بن أحمد دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية (القاهرة : مؤسسة الحلبى ، ١٩٨٦) ص ١٩٥ .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ١٠٣ .

٢) د. عبد السلام الترمانينى ، م.س.ذ. ، ص ٣٦٦ ؛ د. وسام فرج ، الدولة والتجارة فى العصر البيزنطى الأوسط ، حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية التاسعة ، الرسالة الثالثة والخمسون ، ١٩٨٨ ، ص ٥٣ .

3) Glubb , op . cit , p 100 .

السلطة الحاكمة فما كان منها الا أن أعلنت العصيان في أخطر صوره بأن أبرم الجند العرب بقيادة القائد المسلم ابن الأشعث معاهدة صلح مع حاكم كابول غير المسلم رغم انهم كانوا فى طريقهم لمنازلته اصلا وذلك حتى يتفرغوا لادارة تمردهم على الخليفة ، وبهذا خطوا السطر الأول فى قصة طويلة حزينة من التحالفات بين المسلمين وغير المسلمين ضد طرف مسلم والتى ستصبح -فى أوقات الضعف والتشرذم الاسلامى- القاعدة وليس الاستثناء(١) وبالاضافة إلى الآثار الوخيمة لهذه الفتنة على التحرك الأموى الخارجى فى مواجهة الروم البيزنطيين حيث تقدموا بسرعة لاغتنام الفرصة ووصولوا فى هذا العام إلى انطاكية(٢) . فانه كان لها آثار واضحة على اعادة بناء الجيش الأموى والذى سيكون له بدوره آثار بعيدة المدى على بقاء الدولة الأموية ذاتها ، فلأن هذه الفتنة شهدت اشتراكاً مكثفاً من عرب الكوفة والبصرة بها كنوع من أنواع الاحتجاج على السيطرة الشامية فان رد فعل المركز فى دمشق كان هو بناء واسط كعاصمة جديدة لاقليم العراق شحنها بالمقاتلة من أصل شامى للقيام -بدلاً عن العراق- بالفتوحات على الجبهة الشرقية .

وبحلول خلافة هشام بن عبد الملك ستصبح كل الحاميات العسكرية على كل الجبهات - وليس على الجبهة الشرقية فقط - من أصل شامى(٣) وسيكون هذا التعصب لاقليم الشام على حساب أقاليم أخرى خاصة العراق والحجاز احد أسباب ضعف الدولة الأموية نتيجة ماسيولده من صراعات ستؤدى إلى انهيارها فى النهاية.

---

١) انظر تفاصيل فتنة ابن الأشعث

- Shacban , op. cit .

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ،ص ٢٠٢ .

٣) ماجد، التاريخ السياسى للدولة العربية، م.س.ذ ، ص ١٦٠ - ١٧٠ .

-Hodgson , op.cit , Vol.I , PP 219 - 223

-Shacban , op. cit ,PP. 90 - 99 .

ورغم أن عبد الملك بن مروان عاود كرة الصراع مع الـروم البيـزنطيين مـرة اخـرى بعـد أن استقر الداخل ، ورغم انه استأنف الصوائف والشواتي واهتم بتحصين الثغور ، ورغم خروجه على رأس بعض الحملات بنفسه ورغم نجاحه فى استعادة بعض ماضاع مـن الدولـة الإسـلامية مثل المصيصة التى استردها عام ٨٤هـ بعد أربعة عشر عاما من وقوعها فى يد البـيزنطيين ، الا أنه لايمكننا القول إنه قد حدث تغير خطير لصالح المسلمين فـى هـذه الجبهـة . ولأن حركـة الفتوحات قد عادت بكامل قوتها فى عهده فلقد اهتم عبد الملك مثلما اهتم معاوية قبله بأمور الجبهة الداخلية حتى ليعتبر المؤسس الثانى للدولة الأموية ، و لم تترك لـه الفـتن الكثـيرة والممتـدة لفترات طويلة فضلا مـن الوقـت والجهـد يسـتطيع أن يسـتثمره بنفـس الكفـاءة علـى الجبهتـين الداخلية والخارجية ، ففضل أن يؤمن الجبهة الداخلية ويدعمها ، وكان عملـه هـذا هـو الـذى هيأ حركة مد كبرى شهدتها الدولة الأموية فى عهد ابنه وخليفته الوليد بن عبد الملك(١) .

ففى عهد الوليد بن عبد الملك وبفضل الانجازات الداخلية الهامة لوالده والتى تعتبر بحق جهـادا من نوع خاص ستبدأ حركة فتوحات واسعة لن تقتصر على المـد والتوسـع فـى الجبهـات التـى وطأتها اقدام المسلمين قبلا وانما ستشهد فتحا لجبهة جديدة هامة فى جبهة أوربا حيـث ستبدأ المواجهة بين المسلمين والقوط فى أوروبابعد نجاح المسلمين فى فتـح اسـبانيا ممـا سيحيي الهـدف الأموى الثابت وهو فتح القسطنطينية ، ولكن هذه المرة من الغرب كما سوف نـرى بعـد قليـل عند الحديث عن هذه الجبهة ، وسوف يجبر البيزنطيون على الارتداد لموقف الدفاع مـرة اخـرى فى عهـد الوليـد (٨٦هـ- ٩٦م) والتـى ستنتظم فيـه الصوائـف والشـواتى مـرة أخـرى دون انقطاع، والذى سيستهل عهده بفتح حصن طوانة عام ٨٨هـ وهى مفتـاح الطريـق بـين الشـام والبوسفور بعد أن كبد البيزنطيين خمسين ألف قتيل ، ثم فتح عمورية وهرقلية عام ٨٩هـ ، ثـم الأهم من ذلك بداية التفكير فى مدى مناسبة الوقت لاحياء هدف استعادة القسطنطينية مرة

---

1) Hodgson , op. cit, Vol .1 , P 245 .

- Bernard Lewis , The Arabs in History (New York : Harper , Row Publishers, 1960) P 75.

أخرى(١). فالدولة الأموية كانت قد بلغت ذروة مجدها الحربي وقوتها العسكرية، ذلك فى الوقت التى كانت تعانى فيه الامبراطورية البيزنطية من فوضى مدمرة بسبب الصراع على العرش واقتحام البلغار والصقالبة اقاليمها الشمالية واقتحام المسلمين آسيا الصغرى ووصولهم إلى البوسفور(٢) .

وهكذا بدأ الوليد يعد العدة للايقاع بالقسطنطينية فلم تعد الصوائف غارات روتينية على أراضى العدو تتوغل فى آسيا الصغرى ثم ترتد إلى الثغور بل أصبح لها خطا واضحا هدفه التقدم المستمر بالفتح نحو القسطنطينية(٣) وزاد من ذلك الاعداد لحملة بحرية وبرية بلغت ضخامة الاستعداد لها أن وصلت أنباؤها إلى العاصمة البيزنطية ذاتها فهال الامبراطور الأمر وبدأ يستعد لنزال طويل مع المسلمين(٤) .

و لم تفت وفاة الوليد فى عضد المسلمين بل أكمل خلفه سليمان بن عبد الملك الاستعداد لاجراء هذه الحملة بحماس منقطع النظير ونسق فى سبيل ذلك بين القوات البرية والبحرية وكذلك بين قوات الشام ومصر(٥) . وهو التقليد الذى بدأ منذ معاوية والذى سنراه بعد ذلك كثيرا مع كل قائد عسكرى عظيم ، وخرجت الحملة بالفعل متوجهة نحو القسطنطينية عام ٩٨هـ/ ٧١٦م لتبدأ الحصار الثالث للقسطنطينية والذى يعتبره الكثير من المؤرخين نقطة تحول خطيرة فى تاريخ علاقات المسلمين بغير المسلمين، ولقد انتهى هذا الحصار الذى استمر عامين بالفشل فى اقتحام القسطنطينية كما حدث فى الحصار السابق له ، ويرجع فشل هذا الحصار

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠س٠ذ ، ص ١٠٣ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ص ٢٢١ - ٢٢٣ .

Glubb , op. cit , P 150 .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠س٠ذ ، ص ص ١٠٧ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٨ - ٣٩ .

3) Glubb , op. cit , P. 150 .

٤) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م٠س٠ذ، ص ص ١٠٧-١٠٨ .

٥) المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

الثالث إلى العديد من الأسباب بعضها كان عاملا هاما فى فشل حصار السبع سنوات السابق وبعضها ظهر جديدا فى الحصار الأخير ، ومن الأسباب المتكررة قسوة الظروف الطبيعية ، ومهارة المهندسين البيزنطيين فى استخدام النار الأغريقية وكذلك عزم أهلها واستماتتهم فى الدفاع عنها يساعدهم على ذلك منعة أسوارهم وموقعها(١) .

أما أهم الأسباب المستجدة والتى أدت إلى فشل هذا الحصار فهو محالفة المسلمين لأحد الروم البيزنطيين وهو القائد العسكرى ليو الايسورى والذى كان طامعا فى عرش بيزنطة ففاوض المسلمين على أن يتركوه يدخل القسطنطينية ويساعدوه لينصب نفسه امبراطورا عليها ليمهد للمسلمين دخولها ،ولقد أجابه المسلمون إلى طلبه فنفذ الجزء الأول من العهد والذى ينتهى بتنصيبه امبراطورا باسم ليو الثالث ثم نقض باقى عهده وهو مساعدة المسلمين ، بل إنه أفاد من معرفة بعض خططهم فى انجاح صدهم عن أسوار القسطنطينية(٢) .

وهذا يؤكد ماسبق أن أشرنا إليه من أن معاهدة المسلمين لأطراف غير اسلامية بغرض التناصر ضد طرف غير اسلامى انما هو سلاح ذو حدين وأن عواقب استخدامه بغير حرص وخيمة وحاسمة .

ومن المظاهر الايجابية التى ظهرت واضحة فى هذه الحملة والتى سرعان ماستفقدها الدولة الإسلامية بعد قيام الخلافة العباسية وظهور حركات الاستقلال والانفصال هو التناصر بين الأقاليم المكونة للدولة الإسلامية بوصفها كلاً لايتجزأ ، فأثناء معاناة المسلمين تحت أسوار

---

١) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

– عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٤١ – ٤٣ .

٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ص ٣٩١-٣٩٤ .

– شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ص ٢٣٧ -٢٣٨ .

– حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلامي السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج١ : الدولة العربية ، القاهرة: (مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤) ص ٣٢٣ .

القسطنطينية كان يأتى المدد من كل الأقاليم بما فيها مصر وأفريقية (تونس)(١) أما في العصر العباسي فسوف نرى أن مشاريع الفتح سيقوم بها المغرب فى الانفصال عن المشرق ودون مساندة منه والعكس صحيح .

ولقد كانت هذه الحملة الثالثة على القسطنطينية أعظم وأضخم الحملات التى استطاعت قوى الإسلام أن تجردها لهزيمة القوى غير الإسلامية وكانت أعظم مجهود استطاع أن يبذله المسلمون لحمل لواء الإسلام إلى أمم الغرب غير الإسلامي ، ثم إن الظروف لم تكن ولن تكون أبدا مواتية لتحقيق هذا الهدف الا بعد سبعة قرون عندما سينجح الاتراك المسلمون فى فتح القسطنطينية ، فوقت خروج هذه الحملة الثالثة كانت الدولة البيزنطية قد وصلت إلى أسفل درك الضعف وعدم الاستقرار ، أما أوربا فكان يسودها التمزق والصراع السياسى ويتنازع سيادتها الروحية الوثنية والنصرانية ، هذا كان فى وقت كانت قد وصلت الدولة الإسلامية فيه إلى ذروة قوتها(٢) . وهكذا فان فشل هذه الحملة كان عميق الأثر فى مصائر الإسلام، فلقد حال اخفاق المسلمين فى فتح القسطنطينية دون انتشار الإسلام فى أوربا ولو كان المسلمون قد نجحوا لتغير اذن مصير أوربا ولنشأت فيها امم غير الأمم ودين غير المسيحية ، أى لو نجحت تلك الحملة لكانت الدولة الاموية قد نقلت النظام الدولى من نظام ثنائى الأقطاب إلى نظام أحادى الأقطاب يتسيده المسلمون وتدخل فيه أوربا ضمن ديار الإسلام ولتغير مسار ومعنى العلاقات الدولية(٣).

ويرى بعض المؤرخين أن من الآثار الخطيرة والحاسمة لفشل هذه الحملة أن الدولة الإسلامية بدأت تتخلى عن التوجه إلى الخارج وتركز أكثر على ترتيب الأمور فى الداخل ، أى أنها

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ١١١ .

٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٣٨ - ٣٩ ، ٤٤

٣) المرجع السابق ، ص ص ٤٤ - ٤٥ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ١١٣

بدات تتخلى عن التركيز على الفتح والتوسع وتهتم أكثر بأمور الأدارة والزراعة .... الخ(١) ، بل إن منهم من يؤكد أن هذا التوجه لم يبدأ بسبب فشل الحصار وان كان هذا الفشل قد جعله واضحا للأعين وانما هو توجيه بدأ مترددا منذ بداية عهد سليمان بن عبد الملك ، والشواهد على ذلك كثيرة منها ابعاد سليمان لكل ولاة الجبهة الشرقية الذين عرفوا بأعمالهم الفتحية ، كما سوف نرى ومنها أن نمط الحملات على هذه الجبهة فى عهده انما كان لتثبيت الاقدام وليس للتوسع ، بل إن حصار القسطنطينية ذاته فى عهد سليمان يرونه خطوة على هذا الدرب مؤكدين أن سليمان أراد أن ينهى بهذه الطريقة وإلى الأبد القتال على الجبهة البيزنطية بمحاولة تحقيق نصر حاسم فيها(٢) .

وبغض النظر عن صحة هذا الرأى من عدمه ، فان معظم المؤرخين يتفقون على أن فشل حملة القسطنطينية الثالثة كان ارهاصة تغير فى استراتيجية التعامل الخارجى للدولة الاموية ، وان ظل أمضاؤه بصورة حاسمة غير قائم حتى زوال هذه الدولة ، فبالاضافة إلى الآثار النفسية المعنوية والآثار السياسية فان فشل هذه الحملة كان له آثار اقتصادية وخيمة نتيجة ما أُنفق فى سبيل اعدادها دون أن يعوض بأى نصر ، كما أن فقدان الدولة لأسطول كان ضياعا لأحد أعمدة بنائها العسكرى الأساسية(٣) وبهذا استنفذت الموجة الإسلامية الزاحفة منذ بداية عهد الخلفاء الراشدين ، والتى استأنفها الأمويون، طاقاتها .

وكرس من الآثار السلبية لهذا الفشل أن هذا الانكسار الإسلامي زامن انتعاشا على الجانب البيزنطى الذى خرج ظافراً من هذه المعركة بقيادة ليو الثالث الذى بدأ يعيد تنظيم دولته من الداخل واستمر حكمه من عام ١٠٠ - ١٢٣هـ / ٧١٧ - ٧٤١م بل وزامن هذا الانكسار على الجانب الإسلامي أيضا انتعاشاً أيضا فى الغرب المسيحى بظهور شارل مارتل (٩٦ -

---

1) Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 268 , n . 14 .

2) Shacban , op. cit , pp. 127 - 129 .

3) Lewis , op. cit , p 67 .

١٢٣ هـ/ ٧١٤ -٧٤١م) والذى سينفث الحيوية فى مملكة الفرنجة وسيستطيع أن يحقق نصراً حاسماً على المسلمين فى موقعة بلاط الشهداء عام ١١٤هـ(١) ، وهى الموقعة التى ستترك آثارها السلبية على حركة المد الإسلامي فى المغرب لتساوى فشل آثار حملة القسطنطينية الثالثة فى المشرق .

نخلص مما سبق إلى أن فشل هذه الحملة الضخمة على القسطنطينية جعل لزاما على الدولة الأموية أن تعيد النظر فى سياسة الفتح ولقد قيض الله للدولة الأموية فى ذلك الوقت خليفة لايميل إلى سياسة الفتوحات كسبيل لنشر الإسلام لما تكلفه من أرواح ونفقات وهو الخليفة عمر بن عبد االعزيز والذى استهل خلافته باستدعاء القوات المسلمة المعسكرة حول القسطنطينية عام ١٠٠هـ / ٧١٨م وليبدأ فى هذا العام اذن فصل جديد فى تاريخ العلاقة بين الدولة الأموية والدولة البيزنطية .

المطلب الثانى : جزر البحر المتوسط :

كسبت الفتوحات الشامية المصرية للمسلمين منذ عام ١٧هـ مدناً ساحلية تمتد من انطاكية شمالا حتى ساحل برقة غربا كان لابد من الدفاع عنها ، ولقد كانت مسألة تمكين المسلمين من السيادة على البحر المتوسط الشرقى هو شغل معاوية الشاغل منذ كان واليا على الشام فى خلافة عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ، ولقد أدرك -كما ذكرنا- أن قوة البيزنطيين البحرية هى سبيل بقائهم وأن افتقاد الدولة الفارسية لهذه القوة هو الذى جعلهم يفقدون الشام للبيزنطيين ثم جعلهم يسقطون بعد ذلك أمام هجمات المسلمين(٢) ، ولأن البيزنطيين كانوا يستخدمون جزر البحر المتوسط كقواعد لشن غارات مستمرة على سواحل المسلمين ينهكونهم بها فإن احتلال هذه الجزر كان هو حجر الزاوية فى سياسة معاوية البحرية ازاء الدولة البيزنطية ، ولما كانت سياسة عمر بن الخطاب دفاعية بالأساس ، اضطر معاوية أثناء

---

1) Hodgson , op. cit, p 244 .

- انظر أيضا : فرج ، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية ، م.س.ذ، ص ص ١٧٤-١٧٥ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ٩٦ .

ولايته للشام أن يقوم باجراءات برية لمواجهة خطر البيزنطيين القادم من البحر من قبيل ترميم القلاع وشحنها بالمقاتلة واضافة نقط المراقبة(١) ورأينا أن معاوية ظل على اقتناعه بضرورة اتباع سياسة بحرية هجومية في مواجهة البيزنطيين حتى أذن له عثمان بن عفان بغزو البحر عندما رأى نجاح البيزنطيين في الاستيلاء على بعض موانى الشام وعلى الاسكندرية ذاتها ، فكانت أول غزوة له فيها عام ٢٨هـ وقت ولايته ففتح قبرص و لم يتراجع بعدها أبدا أمام البيزنطيين في البحر ، فغزا قبرص مرة اخرى وغزا صقلية غزوة استطلاعية واتبع ذلك بغزو رودس(٢) ثم انتصر اسطوله على الاسطول البيزنطي في موقعة ذات الصوارى عام ٣٤هـ وبذلك قضى على تسيد البيزنطيين البحرى في حوض المتوسط وانهى أحلامهم في امكانية استرداد مافقدوه من أملاك في شرق هذا البحر(٣).

ولقد اتبع معاوية في سياسته البحرية نفس الاجراءات التى كان يتبعها في سياسة المواجهة مع الروم البيزنطيين في البر ، فهو مثلا كان يؤمن بسياسة تداعي الفتوحات في البحر كما كان يؤمن بها في البر ، فمنذ أن بدأ بفتح قبرص عام ٢٨هـ وهو يواصل فتوحاته البحرية فنزل جنوده صقلية عام ٤٨هـ ليقضى على محاولات الامبراطور قسطنطين الثانى جعل صقلية قاعدة لحماية أملاكه بعد أن فقد عدة جزر غيرها ، ثم فتح جزيرة جربا عام ٤٩هـ ، وفي عام ٥٢-٥٣هـ فتح رودس وفي عام ٥٤هـ فتح جنوده كزيكوس لتصبح قاعدةلحصارالقسطنطينية، وفي عام ٥٥هـ فتح كريت وبعد عامين فتح جزر ايجة القريبة من القسطنطينية(٤) .

---

١) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٦٨-٣٦٩

عدوى ، الامويون والبيزنطيون ، م٠س٠ذ ، ص ص ١٥٤ .

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ .

سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٧٢-٣٧٣ .

٣) عدوى ، القوات البحرية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٥٠ - ٥١ .

- ماجد ، التاريخ السياسى ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٤ .

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ٩٦ .

٤) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ١٠٥ . =

ثم ان معاوية اتبع أيضا سياسة تعريب الجزر المفتوحة حيث كان لايكتفى بترك حامية بها بعد فتحها وانما كان ينقل اليها أعداداً كبيرة من السكان مثلما حدث فى فتح رودس وقبرص وكزيكوس ، وقام باقطاع الجنود الذين غزوا تلك الجزر أراضى من تخلف عن استكمال الغزو فى جزر أخرى ، كما انه شجع على استيطان المدن والحصون الساحلية التى خرج منها سكانها البيزنطيون أثناء حركة الفتوحات . ولقد تمكن معاوية من انشاء اسطول ضخم ونظم التعاون التام بينه وبين الجيوش البرية بحيث لم يعد الاسطول مجرد جزء مكمل لقوة الدولة العسكرية بل أصبح أحد الأعمدة الأساسية لهذه القوة ومكون أساسى لكل خطة هجومية، ولقد تجلى ذلك تماما فى حصار القسطنطينية الثانى الذى عرف بحرب السنوات السبع كما راينا قبلا(١).

وربما بتأثير الضربة القاصمة التى أصابت الاسطول الإسلامي فى حصار القسطنطينية الثانى، اضافة إلى أحداث الفتنة التى ألمت بالدولة الأموية بعد وفاة معاوية والتى استمرت اثنى عشر عاما فان السياسة البحرية الهجومية للدولة الأموية شهدت تراجعا ملموسا لفترة ليست بالقصيرة بلغ من وطأتها أن كان الخليفة يجازف باحتمال فقد الجزر البحرية المفتوحة لصالح البيزنطيين مثلما حدث فى عهد يزيد بن معاوية الذى اضطر إلى استدعاء حامية قبرص إلى الشام أثناء فتنة ابن الزبير للمساعدة فى مواجهة هذا الخطر الداخلى(٢) .

وكما توقف الغزو فى أرض الروم فى آسيا الصغرى أثناء الفتن التى بدأت بأخذ البيعة ليزيد فانه توقف أيضا فى البحر ، وبدا وكأن البيزنطيين سيتسيدون مرة أخرى على حوض المتوسط وبدأ المسلمون يعانون من وطأة هجماتهم الآتية من البحر خاصة من صقلية والتى كان لها أثر

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ص ٣٧٩-٣٨٠ .
- الجاسم ، دراسات عسكرية عن الثغور ، م.س.ذ ، ص ٩٠ .
١) العدوى ، القوات البحرية ، م.س.ذ ، ص ٥٣ .

2) Shacban , op. cit , P. 99 .

عميق فى تقهقر المسلمين فى جبهة شمال أفريقيا فى تلك الفترة ،كما سوف نرى(١)· ولما استعادت حركة الفتوحات قوتها مرة أخرى مع الوليد بن عبد الملك انتعشت الجبهة البحرية كذلك وركز المسلمون بالطبع على جزيرة صقلية التى اتخذها البيزنطيون قاعدة بحرية لارسال حملاتهم الهجومية على كافة مدن السواحل الإسلامية فى حوض المتوسط شرقه وجنوبه فوجهت اليها حملة كبرى عام ٨٤هـ ، ولكننا سنرى أن جزيرة صقلية التى سوف يستميت البيزنطيون فى التمسك بها لن تفتح أبوابها للمسلمين الا بعد أكثر من قرن من الزمان فى عملية من أطول عمليات الفتح التى عرفها التاريخ الإسلامي .

وسيهتم الوليد اهتماما عظيما ببناء اسطول ضخم متتبعا نفس منطق معاوية فى سياسته البحرية خاصة أنه كان يستعد لفتح القسطنطينية التى يحيطها البحر من ثلاث جهات ، ولقد شارك الأسطول الإسلامي بالفعل فى الحصار الثالث للقسطنطينية ووصلت عدته وفقا لبعض الروايات خمسة آلاف سفينة وفى رواية اخرى ثمانية عشر الفاً تحطم معظمها فى هذه الحملة(٢) .

وكان تحطم الاسطول الذى انفق المسلمون سنوات طويلة وأموالاً طائلة فى بنائه أحد الاسباب المباشرة التى دفعت القائمين على الدولة الأموية إلى اعادة النظر فى سياستها الفتحية الهجومية بعد عام ١٠٠هـ حيث فقدت دعامة أساسية من دعامات سياسة المواجهة تلك مع دولة هى بالأساس دولة بحرية(٣) .

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م·س·ذ ، ص ص ١٣٣ ، ٢٠٢-٢٠٥ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م·س·ذ ، ص ص ٣٥٩-٣٦٣ .

-رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م·س·ذ ، ص ص٨٢-٨٦ .

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م·س·ذ ، ص ٢٢٣ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م·س·ذ، ص ص١١٢-١١٣ .

المطلب الثالث : شمال افريقيا والتمهيد لفتح الأندلس :

أدت فتوحات القسم الشرقى من البحر المتوسط إلى فتوحات القسم الغربى منه ، وفتوحات حزر غرب المتوسط ترتبط ارتباطا وثيقا بفتح الشمال الأفريقى والذى جاء تأمينا لفتوحات مصر بالأساس ، وكان ميدان شمال أفريقيا من أصعب الجبهات التى حدثت بها فتوحات وذلك لتمسك الدولة البيزنطية بها تمسكا شديدا فاستغرق فتح المسلمين لها ستين عاماً منذ أول ضم بها وهو فتح برقة عام ٢٣هـ . ولقد كثرت الحملات فى هذه الجبهة التى لم يكن من نتيجة لها إلا المغانم دون أى تثبيت للاقدام الإسلامية هناك ، وهناك حملات كثيرة أخرى انتهت بهزيمة المسلمين واضطرارهم لعقد صلح مع الروم أو مع القبائل المحلية التابعة للدولة البيزنطية ألا وهم البربر، ولكن كل هذا الجهد والجهاد لم يكن سدى فهذه الحملات زودت المسلمين بالخبرة اللازمة بالبلاد ومن ثم كانت كلها بمثابة مقدمة هامة-وان طالت-للفتح الحقيقى للشمال الأفريقى(١) .

وبعد فترة توقف طويلة للغزو فى شمال أفريقيا أثناء فتنة عثمان وماتلاها من أحداث عاد الفتح الأول هناك سيرته بعد استقرار الأمر لمعاوية كما عاد فى كل الجبهات الأخرى ، ومما دفع معاوية إلى الاهتمام الشديد بشمال أفريقيا ادراكه لمدى الخطر البيزنطى المحدق هناك حيث انتهز قنسطانز امبراطور الروم فرصة انشغال معاوية بالفتنة الكبرى فنقل عاصمته إلى صقلية وأقام بلاطه فى سرقوسة وأولى اهتماما كبيرا بالاسطول تمهيدا لطرد المسلمين من شمال أفريقيا وتعزيز اقدام البيزنطيين هناك ومن ثم فقد عاود معاوية الغزو فى هذه الجبهة بعد انقضاء الفتنة مباشرة حيث نجح عقبة بن نافع عام ٤٢هـ/ ٦٦٢م فى فتح غدامس وودان ، وفى عام ٤٣هـ/ ٦٦٤م فصل ولاية أفريقيا عن مصر واتبعها مباشرة إلى دمشق فى اشارة واضحة إلى اهتمام الخلافة الأموية العميق بهذه المنطقة استجابة لاستنجاد بعض أهل البلاد بدمشق من مظالم البيزنطيين الدينية وارهاقهم لهم بالضرائب .

---

١) المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ انظر أيضا : ص ص ٧١ - ٧٨ .

ولذا سنجد أن معاوية يحرص على أن يظهر ما لهذه الحملة من صبغة دينية بتضمينها عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين(١) ، وستكون هذه الحملة سابقة لكثير غيرها من حملات شمال أفريقيا والاندلس كذلك ، التى سيظهر فيها الاهتمام واضحا من الجانبين باضفاء صبغة دينية واضحة على المواجهة والصراع بينهما خاصة فى المعارك التى يقدر أى منهما انها فاصلة ٠

وسوف يزداد هذا التركيز على المعنى الدينى للمواجهة من جانب القوى غير الإسلامية فى فترة الضعف ابتداء من العصر العباسى الثانى - كما سنرى - وسيكون لهذا أثر واضح فى اذكاء حركة الاسترداد المسيحى التى ستنبعث فى هذه الجهات ومنها نحو المشرق ٠ ويعتبر كل ماسبق جهاد عقبة بن نافع ، الذى ولى أفريقيا عام ٤٩هـ من قبل معاوية ، من قبيل الحملات التمهيدية كما ذكرنا والتى لم يكن لها أى نتائج ثابتة ، فمع عقبة بن نافع بدأ الفتح الحقيقى لأفريقيا وذلك أنه لم يهتم بغزو الكثير من المناطق فى هذه الجبهة بقدر ما أهتم بتثبيت أقدام الإسلام فى المناطق التى ينجح فى فتحها ، فقد لاحظ عقبة - وكان على حق فى ذلك - أن الروم البيزنطيين ليسوا مصدر المقاومة الوحيدة فى هذه الجبهة ولكن أيضا القبائل البربرية التى تقطن المنطقة والتى وأن كانت أغلبيتها تدين بالمسيحية فهى تعتز بأستقلالها الذاتى ومن ثم هى تنتفض وتخلع طاعة المسلمين عندما ينصرفون عن البلاد بعد غزوهم فيها ومعاهدتهم للبربر، ومن ثم قرر عقبة أن يكون للمسلمين قاعدة ثابتة فى هذه المناطق تصبح نقطة انطلاق للأعمال العسكرية يعود اليها المسلمون بعد العمليات بدلا من الارتداد إلى مصر أو برقة، وهكذا اختط القيروان عام ٥٠هـ فتحولت الاغارات إلى فتح ثابت ودائم ، وكان لاكتمال بناء القيروان أكبر الأثر فى انجاح تحول شمال أفريقيا إلى الإسلام وساعد على ذلك أيضا بداية استقرار المسلمين فى المناطق المفتوحة واختلاطهم بالسكان المحليين وهى السياسة التى كان يشجعها معاوية، كما رأينا ، كسبيل لانجاح الفتوحات(٢) .

---

١) المرجع السابق ، ص ص ٧٦ - ٧٧ ٠

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ص ١٠٦ - ١٠٧ ٠

2) Lewis , op . cit , p 66 · -

ولكن فى ذات الوقت بدأت حركة مقاومة عنيفة للمسلمين فى شمال أفريقيا نتيجة قيام حلف قوى بين البيزنطين والبربر فى مواجهة المسلمين ولقد كان من أهم عوامل قيام هذا الحلف لعب البيزنطيين على وتر العامل الدينى، فالامبراطور قسطنطين الرابع ادرك أن سياسة بيزنطة الدينية فى شمال أفريقيا وغيرها من المناطق الحيوية ساهمت فى انجاح مهمة المسلمين هناك لأنها على أكثر تقدير افقدت سكان البلاد المسيحيين تعاطفهم مع الامبراطورية البيزنطية ولذلك نجده يعقد مجلسا دينيا عام ٥٩هـ/٦٨٠م وضع فيه سياسات جديدة تقوم على التسامح الدينى أثمرت فى احتذاب القبائل البربرية التى تدين بالمسيحية إلى صف الروم ولعبت دورا كبيرا فى مقاومة الفتح الإسلامي مما أدى إلى فشل المسلمين فى هذه الفترة فى فتح أى مدن جديدة(١) .

وجاءت أحداث الفتنة بتولى يزيد بن معاوية عام ٦٠ هـ لتزيد من تدهور وضع الفتح فى شمال أفريقيا حيث توقف الغزو فى هذه المناطق أيضا ، فبعد أن استطاع عقبةبن نافع الذى تولى أفريقية مرة أخرى عام ٦١هـ ليزيد بن معاوية من القضاء على تمرد بربرى كبير ومن التقدم فى بلاد الشمال الأفريقى حتى وصل إلى المحيط الأطلنطى غلبه الروم وقتلوه فى كمين عام ٦٣ه٥م وأضطر نائبه إلى التقهقر إلى برقة فسقطت القيروان للحلف البربرى البيزنطى عام ٦٤هـ لتضيع جهود أربعين عاماً انقضت فى الغزو والفتح وخرجت أفريقية من أمر المسلمين وكثر الروم فى أفريقيا وغلبوا عليها وكان من الأسباب المباشرة لذلك انقطاع المدد من الشام نتيجة انشغال المركز بأحداث الفتنة الداخلية(٢) .

ولقد وصلت أول نجدة من المركز إلى أفريقيا عام ٦٩هـ أى بعد ست سنوات من هذه الأحداث المؤسفة فى أفريقيا ، ورغم محدوديتها فلقد أستطاع المسلمون أستخدامها لتحقيق

= Glubb , op. cit , pp 106 , 108 .

-حسن ، تاريخ الإسلام ، م.س.ذ ، ج١ ، ص ٢٨٠ .

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ٣٥٤ .

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ٨١ .

٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

بعض الانتصارات، ولكن البيزنطيون كثفوا من هجماتهم خاصة من جهة البحر ، ومن القسطنطينية وصقلية ، وفى ذات الوقت كانت قبائل البربر تهاجم قوات المسلمين التى أرادت اعادة كرة فتح أفريقية مرة أخرى وكانت وجهتها القيروان ، وسرعان ما انكسر المسلمون مرة أخرى تحت وطأة الهجمات المزدوجة مع قلة المدد من المركز(١) ليتجلى بوضوح مرة أخرى وبصور مؤلمة أن المسلمين انما كانت تهزمهم خلافاتهم الداخلية وليس أعداؤهم الخارجيون فى الواقع.

ورغم سوء أحوال الغزو فى افريقيا ، فأن مركز الخلافة لم يستطع ارسال مدد أخر الا عام ٧٦هـ بعد الانتهاء من فتنة ابن الزبير ، حيث بدأ يظهر واضحا منذ ذلك الحين مدى أهتمام الدولة الأموية بهذه المنطقة خاصة بعد أن أضحى بها رعايا مسلمون ، فالأمر لم يعد مجرد رغبة فى الفتح بل أضحى واجبا لتخليص رعايا الدولة الإسلامية من نير الحكم غير الإسلامي الذى يخضعون له ، فأفريقيا أضحت أرضا اسلامية لابد من استعادتها(٢) . وهكذا بدأت الدولة الأموية تكثف من حملاتها على أفريقيا وتجهزهابأفضل عدةوتؤمر عليها أمهر القادة من أمثال حسان بن النعمان مستهدفة انهاء الأعمال الحربية فى هذه المنطقة لصالح المسلمين بعد نصف قرن من المد والجزر.وظل الأمر بين المسلمين من ناحية والروم والبربر من ناحية أخرى غير محسوم مرة يغلب جانب لينكسر الجانب الأخر فى المعركة التالية وذلك حتى عام ٨٦هـ/٧٠٧م تقريبا وهو نهاية ولاية حسان بن النعمان لافريقيا والذى نجح مع نهاية ولايته فى اخضاع افريقيا و لم يبق إلا المغرب الأوسط (الجزائر)والمغرب لاقصى (المغرب)(٣) .

ولقد وقعت مهمة استكمال فتوحات الشمال الأفريقى على القائد المسلم موسى بن نصير الذى تولى المنطقة عام ٨٦هـ/٧٠٧م فى عهد الخليفة الأموى الوليد بن عبدالملك فتقدم ومعه مولاه طارق بن زياد ليفتح الشمال الأفريقى كله مجتاحاً مدنه واحدة تلو الأخرى لم تستعص

---

١) المرجع السابق ، ص ص ٨٧ - ٨٨ .

٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ .

٣) المرجع السابق ، ص ص ٨٩ - ٩٠ .

عليه الا مدينة سبته لمناعة حصونها من جانب ، ومن جانب آخر وهو الأهم لوصول المدد والمعونة لها من الامبراطورية البيزنطية عبر أسبانيا القوطية(1) .

وهكذا خضع الشمال الأفريقى كله ـ عدا سبته ـ للمسلمين وطُرِد الروم البيزنطيون منه كما طردوا من قبل من الشام ليصبح ساحل شرق البحر المتوسط وجنوبه منطقة تابعة كلها للمسلمين .

ولكن منطق تداعى الفتوحات وتأمين حدود الدولة بالتوسع المستمر كان مازال قائما فكان حتما اذن أن تتوجه أنظار موسى بن نصير إلى أوربا عبر مضيق جبل طارق ـ وبالتحديد إلى اسبانيا القوطية ـ لتأمين فتح شمال أفريقيا خاصة وأن العلاقة بين سبته التى امتنعت عليه وبين أسبانيا القوطية قد اقنعته بوجاهة السياسة الأموية الخاصة بالفتح والتوسع ، وهكذا كانت وثبة موسى بن نصير التالية هى على أسبانيا لتطأ اقدام المسلمين الممالك المسيحية فى الغرب ـ لأول مرة وليواجهوهم على أرضهم وليحيوا حلم نشر رايات الإسلام فى أفاق أوربا كلها ولكن هذه المرة مبتدئين من الغرب مجتاحين أوربا كلها حتى يصلوا إلى القسطنطينية بدلا من الخطة الأموية القديمة التى تبدأ باسقاط القسطنطينية ثم الزحف منها غربا لاجتياح أوربا كلها.

ولقد ساعدت الظروف السياسية فى أسبانيا القوطية فى ذلك الوقت موسى بن نصير على حسم أمره فى ضرورة غزوها لتأمين فتوحات شمال أفريقيا حيث كان يسودها فى ذلك الوقت صراع ضار على السلطة انحاز فيه حاكم سبته للحزب المناوىء لمن هم فى الحكم وارتأى أن يطلب المساعدة من الدولة الإسلامية فى الشمال الأفريقى للمساعدة فى هذا النزاع على العرش مقابل دفع جزية سنوية لهم .

---

1) المرجع السابق ، ص ص ٩٠ - ٩٣ .
- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ص٣٦٣ - ٣٦٤ .
- حسن ، تاريخ الإسلام ، م.س.ذ ، ج١ ، ص ص ٣١٠ - ٣١١ .
- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٢٢٣ .

وسوف نرى اتفاقات كثيرة من هذا النوع في هذا الجزء من العالم طوال العصر العباسي سيستطيع أن يستثمرها لمصالحهم حال قوتهم ولكنها ستكون وبالا عليهم وقت ضعفهم .

وبعد تأكد موسى بن نصير من عدم وجود خديعة ضد المسلمين تكمن وراء هذا الطلب وبعد ان استشار واستأذن الخليفة الوليد بن عبدالملك في غزو تلك الأراضي ، في اشارة واضحة إلى مدى محورية مؤسسة الخلافة وإلى أن الولاء الأول والأخير للجيش هو الخليفة في المركز مهما بعدت الشقة بما يعنى وحدة وتماسك الدولة الإسلامية وهو سرعان ما سوف ينتهي بعد تولى العباسيين خلافة المسلمين ، نقول عقد موسى بن نصير العزم على دخول تلك المناطق غازيا مستفيدا من انشغال حاكمها بالفتنة الداخلية فأرسل طارق بن زياد عام ٩٢ / ٧١١ عابرا البحر فهزم حاكمها المنشغل على الجبهة الشمالية ثم انضم اليه موسى بن نصير وسارا معا يفتحان مدن اسبانيا الواحدة تلو الآخرى مستمرين في السير دون تردد حتى جبال البرانس فتم لهم فتح أسبانيا كلها الا ركنها الشمالي الغربي الذى احتمى به اشراف القوط وتحصنوا به تحت قيادة بلاى ، أحد قادة الجيش القوطي ،وبعد حصار غير جاد من المسلمين له تركوه استخفافا بشأنه وكان سوء تقدير الموقف هذا أفدح غلطة ارتكبها المسلمون عند فتحهم أسبانيا ، ذلك ان هذه البقعة المنعزلة ستكون بؤرة المقاومة المسيحية للمسلمين فى الاندلس الإسلامية وستكون أساس دولة أسبانيا المسيحية ومنطلق حركات الاسترداد المسيحى فى العصر العباسى الثانى ، وبداية عصر الضعف الإسلامي(١) ، ويرى كثير من المؤرخين أن موسى بن نصير لم يكن يعتزم التوقف في فتوحاته عند هذا الحد وانما كان يخطط لعبور جبال البرانس واجتياح أوربا كلها والوصول إلى القسطنطينية وفتحها من جهة الغرب لولا أن استدعاه الخليفة الوليد إلى دمشق وأمره بالتوقف بالفتح عند هذا الحد، ويؤكد المؤرخون أنه لو كان قد قدر لموسى بن نصير أن يمضى قدما فى مشروعه هذا لتغير شكل النظام الدولى تماما

1) Glubb , op. cit , pp. 124 - 131.

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ، ص ص١١٦-١٢٤ .

ولقضى على القوى غير الإسلامية، ذلك أنهم باستقرائهم للنظام الدولى وقتئذ فانهم يؤكدون أن احتمالات نجاح مشروعه هذا كانت عالية جدا ، اذ لم تكن الظروف ابدا مواتية لنجاحه مثلما كانت مواتية وقتها ، فمملكة الفرنجة كانت مشغولة وقتها بصراعاتها مع الممالك الأخرى ولم يكن هناك كيان سياسي واحد في أوربا كلها يعادل قوة الدولة الإسلامية أو حتى بدايتها ، ويشير هؤلاء المؤرخون إلى أنه لما قدر للمسلمين في هذه المنطقة قائد كفء بعد عشرين عاما من ضياع هذه الفرصة كانت الظروف الدولية قد تغيرت لغير صالح المسلمين فلما حاول هذا القائد احياء مشروع موسى بن نصير هزم هزيمة ضخمة تدخل في تاريخ العلاقات الدولية بوصفها نقطة تحول وهي معركة بلاط الشهداء - كما سنرى بعد قليل —(١)

ولقد تكرست الآثار السلبية لعدم استكمال موسى بن نصير لمشروعه بفشل حصار المسلمين للقسطنطينية بعد ذلك بسنوات قليلة وهو ما اغلق أوربا امام المسلمين من الشرق بعد أن كانت قد أُغلِقت امامهم من الغرب،ولقد فشل المحللون في تفسير سبب استدعاء الخليفة الوليد لموسى بن نصير، فبعضهم قائل إنه أشفق على المسلمين من مخاطر هذا المشروع الجرىء،وبعضهم الآخر يؤكد أن الخليفة انما خاف على سلطانه من تصاعد قوة موسى بن نصير .

وسواء صحت هذه التفسيرات أو أخطأت، فان ما حدث بالفعل بعد استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق هو ما يهمنا هنا لأنه يوضح كيف أن الأهواء الشخصية كثيرا ما تقوض أهدافاً مصيرية ، فلقد توفى الخليفة الوليد فور وصول موسى بن نصير إلى دمشق وخلفه سليمان بن عبدالملك الذى كان على خلاف شخصي مع موسى بن نصير فأمر بموسى بن نصير الفاتح العظيم فجلد ثم نفى إلى المدينة حيث ظل بها حتى مات ، أما طارق بن زياد فلقد جرده من جميع صلاحياته ولا تورد لنا المصادر الأولية شيئا عن مصيره بعد ذلك ، و لم يلبث عبدالعزيزبن موسى بن نصير الذى تركه والده عندما استدعى إلى دمشق على الاندلس فاستكمل الفتوحات ونظم أمورالمسلمين في الداخل ، نقول لم يلبث أن قتل بعد أن وثبت

---

١) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٦٦-٣٦٧ .

-عنان ، مواقف حاسمة ، م٠س٠ذ ، ص ص ٥٤ - ٥٥ .

- Glubb , op. cit , p. 130.

عليه فرقة من جنوده قيل إنها كانت تنفذ أوأمر الخليفة سليمان، وقيل إنها تصرفت وحدها ولكن ثورة للخليفة عندما اعتبروا تنظيم عبدالعزيز بن موسى لأمور الداخل هو انفراد بالأمر من دون الخليفة(١)، وعلى كل الأحوال علينا أن نشير إلى أن الخليفة سليمان عمد إلى التخلص أيضا من اعاظم القادة العسكريين على الجبهة الشرقية ، وأن المحللين التاريخيين يرون هذا كله بداية لتوجه جديد فى الدولة الأموية يتعلق بالتراجع عن سياسات الفتح والتوسع المستمر والتى بدأت ارهاصاته مع سليمان بن عبدالملك ووضحت اكثر مع عمر بن عبدالعزيز ـ كما سنرى.

المبحث الثالث : المد الإسلامي في الجبهة الشرقية :

تشمل الجبهة الشرقية للدولة الإسلامية المناطق الواقعة شرق العراق ، والأمم التى كانت تقطن تلك المناطق اتسمت بالتعدد جنسا وحضارة وان كانت اتفقت جميعها فى الوثنية ، وكانت الفتوحات فى هذه المنطقة تسير فى خطين أحدهما شمالى إلى بلاد ما وراء النهر والآخر جنوبى إلى بلاد السند .

وعلى العكس ، الحال فى الجبهة الغربية التى كان الخليفة الأموى فى عهد المد والتوسع يهتم بها اهتماما شخصيا وكان كثيرا ما يخرج الخلفاء الأمويون الذين تولوا ما بين ٤١ ـ ١٠٠ على رأس الحملات السائرة فى الجبهة الغربية ، فان أمر الفتح فى الجبهة الشرقية كان متروكا بصورة شبه تامة لوالى العراق .

وربما يرجع هذا إلى حقيقة ادراك الأمويين أن الخصم الذى يواجهونه فى الجبهة الغربية ، نعنى الدولة البيزنطية ـ هو كيان سياسى عالمى يناوئهم فى التسيد على العالم، فى حين أن الخصم فى الجبهة الشرقية كان قبائل متفرقة وممالك إن وجدت فهى قزمية تقع على هامش النظام الدولى.

---

1) Glubb , op. cit , pp. 130 - 131 .

فجهود المركز وجهاز الخليفة من الأوفق أن يتوجها إذن نحو القطب الكبير الآخر بدلاً من تشتيتهما بتقسيمهما بين جهتين ولايعنى هذا أن الدولة الأموية أكملت واستهانت فيما يتعلق بالفتح على الجبهة الشرقية كل ما فى الأمر هو أنها ارتأت أن يدار الفتح ونشر الإسلامي بها بأسلوب أخر غير ذلك المستخدم فى الجبهة الغربية وكان الأسلوب المتبع على الجبهة الشرقية هو أن يكون أمر الفتح بها من اختصاص اقليم العراق مباشرة مع الحرص على أن يتولى أمر هذا الاقليم أكفأ القادة السياسيين حتى يطمئن الخليفة على حسن سير الأمور بالأقليم وبالتالى على حسن سيرها على الجبهات الشرقية ، أما اشراف الخليفة على هؤلاء القادة والحكام فلم يكن منعدما بل كان موجودا دائما تأكيدا للمركزية ولوحدة الدولة بزعامة الخليفة .

ولقد بدأت فتوحات الشرق منذ عهد الخلفاء الراشدين ، ولكن حتى أيام الدولة الأموية لم تكن اقدام المسلمين قد ثبتت فى هذه الأقاليم ، فبعد استسلام مرو ٣١هـ/٦٥١م فضل المسلمون عدم التقدم فيما يلى حدود الامبراطورية الفارسية حتى لايصطدموا هناك بقبائل لم يخبروا كيفية التعامل معها بعد، ولقد قرر المسلمون تأجيل غزو تلك المناطق حتى توطد حكمهم فى خراسان ، ولقد تعرض موقف المسلمين فى الأقاليم الشرقية إلى اختبار قاس اثناء فتنة عثمان حيث شجعت أهالى خراسان وسيستان بأحداث الفتنة وتوقف الفتوحات فأتفقوا على السلطة الإسلامية واستطاعوا ان يخرجوا الحامية الإسلامية من سيستان وان كانوا قد فشلوا فى الايقاع بهم فى خراسان ، ومن ثم فإن مهمة معاوية العاجلة فى الشرق فور توليه خلافة المسلمين كانت هى اعادة توطيد أقدام المسلمين هناك وكان تركيزه الأساس على محور خراسان فعمل على تدعيم القوة الإسلامية هناك(١) .

ولقد سارت الفتوحات فى عهد معاوية فى الخطين السابقين تحديدا ولقد نجحت الدولة فى عهده فى فتح معظم خراسان ، إلا أن القبائل الوثنية التى كانت تسكنها كانت كثيرا ماتنقض العهد فيعاود المسلمون فتحها المرة تلو المرة ، لم تدن هذه المناطق تماما للدولة الإسلامية حتى زمن الوليد بن عبدالملك وقد يرجع ذلك إلى أن المسلمين لم يتبعوا فى فتحها نفس سياسة التعريب والاستيطان التى

---

1) Shacban , op. cit , p 66 .

كانت تتم في فتوحات الجبهة الغربية ، فكان يكتفى بأن تمتثل القبائل بالطاعة وتقبل بمعاهدة الصلح فيرتحل المسلمون عنها قانعين بذلك بل وتاركين عليها حكامها الاصليين على عهد بدفع الجزية(١) ، ولقد استولى المسلمون في عهد معاوية على هـراه وكابول كما غزوا بلاد السند مما يلي خراسان عام ٤٣ ثم الاقليم الممتد بين ملتان وكابول عام ٤٤ ثم تركستان عام ٥٤ وغزوا كذلك بخارى وسمرقند(٢) ومما كان يسهل على المسلمين أمر فتح تلك المناطق المرة بعد المرة هو انها كانت محور صراع دائم بين القبائل التركية والقبائل الفارسية في المنطقة لوقوعها على طرق التجارة الرئيسة مما جعل الوحدات في هذه المنطقة متشرذمة دائما وغير قادرة على التوحد في شكل كيان سياسي واحد يستطيع أن يقف بقوة في وجه عمليات الغزو والفتح الإسلامي(٣) ونرى الفتح ايضا في عهد معاوية متجها ناحية السند ، باب الهند الرئيسي ولكن لم يسفر الغزو في هذه المنطقة عن نتائج ثابتة حتى أيام الوليد بن عبدالملك(٤).

كما أثرت أحداث الانقسامات والفتن الداخلية من ٦٠ ـ ٧٢هـ على الغزو والفتح على الجبهة الغربية بمحاورها الثلاث فانها أثرت على الجبهة الشرقية أيضا حيث أضحى المسلمون هناك في موقف دفاعي مهين ، فلقد نقض الترك عهدهم وهاجموا المسلمين عدة مرات ، فبعد انجاز تقدم محدود جدا في هذه الجبهة فيما وراء النهر في بداية عهد يزيد توقفت الحملات بعدها تماما في هذه الجبهة طوال فترة الفتنة ، بل إن المسلمين فقدوا أثناء أعوام الفتنة تلك

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

- Hodgson , op. cit , Vol 1 , p 219 .
- Lewis , op. cit , p 66 .

٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ، ص ٣٤٠ .

3) Glubb , op. cit , p 100 .

٤) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ص ١٠٨ - ١٠٩ .

- Lewis , op.cit , p 66 .
- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 219 .

التي امتدت حوالى الاثنى عشر عاما معظم المناطق التى كانوا يمدون عليها سيطرتهم مثل كابول[1] فما أن تمكن سليمان بن عبدالملك من القضاء على مناوئيه حتي بدأ يولى أمر الفتح الاهتمام الواجب مرة أخرى، وكان ولاته على أقليم العراق هم مفتاح النجاح على الجبهة الشرقية وكان الحجاج بصفة خاصة ذا فضل كبير - بسبب شدته وصرامته - فى تحقيق قدر معقول من الاستقرار فى العراق ولوظاهرياً - مكن من خروج الحملات نحو الاقاليم الشرقية[2] ولقد بدأ خروج الحملات فور نجاحه فى القضاء على ابن الزبير عام ٧٢ فخرج المهلب بن ابى الصفرة فيما وراء النهر غازيا لمدة عام استطاع أن يعيد خلاله هيبة المسلمين فى المنطقة وان كان قد فشل فى اقامة قواعد ثابتة ، وربما يرجع ذلك إلى استمرار انشغال المركز والعراق كذلك حتى عام ٧٩ بقلاقل الخوارج الأزارقة فى الأهواز وبلاد فارس والخوارج الصفرية فى الجزيرة والعراق[3] فلما نجح عبدالملك فى كسر الخوارج ٧٩هـ/٦٩٩م بدأ بتجهيز جيش قوى تكون مهمته اخضاع تلك المناطق الشرقية وتحقيق نتائج حاسمة هناك ، وخرج الجيش بالفعل بقيادة عبدالرحمن بن الاشعث وضم وجوه المحاربين العرب ولكن بدلا من اتمام المهمة التى خرج من أجلها تحول عن اخضاع مناطق لاتدين بالإسلام إلى مناوءة خليفة المسلمين بل وإلى عقد الصلح مع حاكم كابول غيرالمسلم ليعود أدراجه لمواجهة الخليفة وواليه فى العراق، وبذلك توقف الغزو مرة أخرى على الجبهة الشرقية نتيجة فتنة ابن الاشعث[4] ، بل وأثرت هذه الفتنة على قدرة المركز الخلافى على ارسال المدد للمسلمين الذين كانوا يواجهون موقفا قاسيا فى شمال أفريقيا ، كما رأينا خسروا بسببه تلك المناطق بعد أن كانوا قد

1) Glubb , op.cit , p 100.

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ص ١٩ ، ٢١٩ .

3) Hodgson , op. cit .

4) Glubb , op.cit , pp 100 - 101.

فتحوها ، ولقد انتهز رتبيل من أشهر حكام شرق سجستان الاتراك فرصة فتنة ابن الاشعث فنقض عهده للمسلمين وانقض على الحاميات الإسلامية فى الأقاليم الشرقية وقتل امراءهم ثم انه أجار ابن الأشعث الخارج على الدولة الإسلامية وآواه(١) ، وبعد القضاء على فتنة ابن الأشعث الخارج عاود الملك الغزو مرة أخرى على الجبهة الشرقية ولكنه ووجه هنا بعامل استجد أثر بصورة واضحة على سير حركة الفتوحات على الجبهة الشرقية ، فلقد بدأ المقاتلون يستقرون فى أقليم العرق خاصة لامتداد سنوات الفتنة إلى أكثر من اثنى عشر عاما توقف فيها الغزو تماما على الجبهة الشرقية ، على خلاف ما كان عليه الوضع فى الجبهة الغربية ، ثم إن الحاميات التى توجد فى المناطق التى كان قد تم غزوها استقر جنودها فى هذه المناطق وبدأوا يندمجون مع السكان المحليين ، ومن ثم عندما حاول القادة الذين عينوا لاستئناف الفتوحات فى الأقاليم الشرقية بعد انقضاء الفتنة ـ من امثال قتيبة الباهلى - استنفار الجنود اظهر هؤلاء عدم رضاهم عن ذلك بل وثاروا على قتيبة نتيجة اتباعه سياسة فتح نشطة جدا كانت تخرج خلالها الجملات باستمرار معلنين رغبتهم فى الاستقرار ونفورهم من هذه الحملات التى لاتنقطع(٢).

ولكن لم يفت هذا فى عضد قتيبة القائد العسكرى القدير فكما أن الفتوحات الكبرى على الجبهة الافريقية ترجع إلى مهارة القائدين موسى بن نصير وطارق بن زياد، فان الجبهة الشرقية قدر لها فى نفس الوقت تقريبا قائدان لايقلان مقدرة ومهارة حولا مسار الفتوحات فى هذه الجبهة تماما لصالح الدولة الإسلامية بعد حوالى نصف قرن من الغزوات والاغارات غير الحاسمة، هذان القائدان هما قتيبة بن مسلم الباهلى الذى كان يفتح فيما وراء النهر، ومحمد بن القاسم بن محمد الثقفى الذى كان يغزو بلاد السند ، ولقد بدأ قتيبة الذى ولاه الحجاج خراسان غزوه فى المنطقة عام ٨٦ بخروجه إلى بلخ ، وفى عام ٨٧ غزا بيكند وأرغم أهلها على طلب الصلح فلما نقضوا العهد عاد اليهم وفتح مدينتهم عنوة، وفى عام ٨٨ فتح

---

١) دحلان ، الفتوحات الإسلامية ، م.س.ذ ، ص ص ١٩٥ - ٢٠٦ .

2) Shacban , op.cit , pp 120 - 126 .

كرمينية ثم بخارى ، وفى عام ٩٣ فتح خوارزم صلحا ثم فتح سمرقند التـى وطـد فتحهـا اقـدام المسلمين فى المنطقة ، ثم واصل قتيبة تقدمه فعبر نهر جيحون ثم ساراِلى فرغانة ثم كـاشان ، والملاحظـة الجديرة بالتسجيل هنا هو أن السكان فـى هـذه المنـاطق كـانوا يرضـون بـالصلح أو يعتنقون الإسلام ظاهريا فما ينصرف الجند المسلمون حتى ينقضوا العهد أويرتدوا عن الإسـلام، وهذا يظهر بوضوح مدى منطقية مفهوم عقبة بن نافع فاتح أفريقيا بضـرورة أن يكـون الفتـح معنويا وليس عسكريا فالفتح المعنوى يحتاج إلى وجود مسلمين مقيمين فى المنطقـة بعـد فتحهـا يفتحون القلوب ، أما الفتح العسكرى فيتم بواسـطة الجنـد الذيـن يرتحلـون بعـد نجـاح المهمـة العسكرية فلا يحققون شيئا فى الواقع الا فتح الأرض التى تنقض عليهم فور انسحابهم(١) .

ولقد اهتز قتيبة لوفاة الحجاج ، ولكن تشجيع الخليفة الوليـد لـه علـى مواصلـة الفتـح جعلـه يتجاوز المحنة وبدأ يطرق أبواب الصين من الجهة الغربية فغزا كاشغر ، ثـم راسـل ملـك الصـين الذى وافق على دفع الجزية وكانت وفاة الوليد عام ٩٦ فـى العـام التـالى لوفـاة الحجـاج نقطـة تحول فى تاريخ الفتوحات فى هذه المنطقة فلقد خاف قتيبة من انتقام سليمان بـن عبـد الملـك منه لأنه كان قد شجع الوليد على خلع بيعته فسارع باعلانـه خلعـه وهـو فـى خراسـان ، ولم يرض جنده بذلك فوثبوا عليه وقتلوه عام ٩٦(٢)، فى إشارة قوية إلى مدى ولاء الجيش للخليفة باعتباره رمز الوحدة السياسية والدينية وهو ما سيضيع تماما فى العصر العباسى حيث سـيطغى ولاء الجند لأميرهم دون الخليفة فتضيع الدولة، وبوفاة قتيبة توقفت فتوحات المسلمين على هذه الجبهة عند الحد الذى تركها هو عليه، ذلك أنـه لمـا تـولى خراسـان زيـد بـن المهلب بـن ابـى الصفرة من قبل سليمان بن عبدالملك عام ٩٧ وجه همه إلى فتح جرجـان وطبرستـان ، ولم

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ص ٢٢٦ - ٢٢٧ ٠

-حسن ، تاريخ الإسلام ، م٠س٠ذ ، ج١ ، ص ص ٣٠٠ - ٣٠٤ ٠

- سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص٣٤١-٣٤٢ ٠

٢) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ٢٢٧ ٠

-سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص٣٤٣-٣٤٤ ٠

يكن المسلمون قد وطأوا أيهما من قبل وذلك حتى يحقق فتحا يغبط سليمان كما كانت نجاحات قتيبة تغبط الوليد ، ولقد استطاع يزيد أن يفتحها بالفعل صلحا ثم توجه بعدها إلى طبرستان ولكنه هزم هناك فنقض أهل جرجان عهدهم فعاد وحاربهم وفتحها عنوة هذه المرة(١) .

أما الفتح فى السند فقام به القائد المسلم محمد بن القاسم الثقفى الذى ظل يلح على الوليد للفتح فى هذه المناطق حتى أذن له فانطلق يفتح المدينة تلو الأخرى ونجح عام ٩٠هـ فى قتل داهر ملك السند الشهير مما سهل عليه التقدم فى بلاده ففتح الديبل مكان كراتشى الحالية عام ٩٣هـ ، ثم تقدم إلى الداخل تجاه الشمال فاتحا المدن والمعاقل فى طريقة إلى الملتان التى فتحها عام ٩٤هـ(٢) .

ثم تطلع بن القاسم لفتح امارة كنوج أعظم امارات الهند والتى كانت تمتدمن السند إلى البنغال فاستأذن الحجاج الذى أذن له ولكن ما لبث أن توفى ومن بعده الوليد بن عبدالملك ، وكان تولى سليمان الخلافة نقطة تحول أيضا فى تحول السند كما كانت بالنسبة لفتوحات ما وراء النهر وفتوحات أفريقيا ، ذلك أن سليمان كان ينقم على الحجاج وصنائعه لأنه أقر الوليد على خلع بيعة سليمان وعقدها لابنه عبدالعزيز بدلاً منه، ومن ثم فما أن تولى حتى عزل ابن القاسم عن جبهة السند وأمر به مقيدا إلى دمشق حيث عذب حتى الموت دون ان تشفع له خدماته فى سبيل نشر الإسلام فى مناطق استعصت طويلا على المسلمين ، بل كان الاعتبار الأهم هو للأهواء الشخصية، ولقد استغل حكام السند المحليين هذه الأحداث لاسترداد ما فقدوه للمسلمين فأضطرب السند كله خاصة عندما ترك جند ابن القاسم مواقعهم وعاد كل إلى بلده و لم يستطع المركز إلا تحقيق قدر محدود من الاستقرار فى المنطقة بعد لأى(٣) .

---

١) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ - ٣٤٧ ٠

٢) المرجع السابق ، ص ص ٣٤٩ - ٣٥٢ ٠

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م٠س٠ذ ، ص ٢٢٨ ٠

-حسن ، تاريخ الإسلام ، م٠س٠ذ ، ج١ ، ص ص ٣٠٧ - ٣٠٨ ٠

٣) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م٠س٠ذ ، ص ص٣٥٢ -٣٥٣ ٠

وهكذا نجد الأهواء والمصالح الشخصية تؤدى بسليمان بن عبدالملك إلى القضاء على أهم ثلاثة قواد عسكريين فى تاريخ الدولة الاموية الذين استطاع سلفه الوليد بن عبدالملك أن يحقق بهم توسعاً فى الدولة الإسلامية وصل بها إلى حدود الصين شرقا وإلى أسبانيا غربا ، فلم يضف إلى الدولة أى أرض جديدة بعدها حتى زوال الأمويين(١).

ثم أضاف سليمان إلى هذا الخطأ خطأ أخر يرجع لأسباب شخصية أيضاً وستكون عواقبه أوخم من سابقه حيث ستؤدى ليس إلى تعثر الفتوحات فحسب وإنما إلى زوال الدولة الأموية ذاتها ذلك أنه سيزج بنفسه فى الصراعات القبلية بانحيازه إلى القبائل الكلبية وتنكيله برجال عظام ينتمون إلى القبائل القيسية من أهمهم رجالات الحجاج وذلك بسبب صراعه الشخصى معهم(٢) وبذلك ساهم فى تكريس الانقسامات القبلية ووصولها إلى الجيش عدة الدولة وأداتها ، وكان هذا بداية النهاية للدولة الأموية حيث سيصبح ضرب القبائل بعضها ببعض لعبة الخلفاء التى يستغلونها لتحقيق مكاسب شخصية وقتية بدلا من أن يرتفعوا فوق هذه الصغائر ويصبحوا حكماً محايداً فيها من أجل الصالح العام لأمة الإسلام .

---

1) Lewis , op. cit , p 76.

-Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 244 .

2) Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 244 .

الفصل الثانى

التحولات فى البيئتين الداخلية والخارجية وأثرها على انحسار حركة المد والتوسع

مقـدمـــة :

المبحث الأول : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية البيزنطية ،

المبحـث الثانــي : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية الأوربية ،

المبحث الثالـث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية ،

الفصل الثانى :

التحولات في البيئتين الداخلية والخارجية
وأثرها في إنحسار حركة المد والتوسع

مقدمة :

كان عام ١٠٠ هـ نقطة تحول فى تاريخ العلاقات بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية حيث استدعى الخليفة عمر بن عبدالعزيز القوات الإسلامية المحاصرة للقسطنطينية آمرا بفك الحصار فتراجع الغزو على الجبهة الرومية بعد أن كان قد توقف قبل ذلك بقليل فى جبهة شمال أفريقيا وفى الجبهة الشرقية نتيجة سياسات سلفه سليمان بن عبدالملك .

ولقد اتبع الخليفة عمر بن عبدالعزيز ازاء التوسع سياسة تختلف عن سياسات خلفاء الدولة الأموية السابقين له بل واللاحقين عليه ، فلقد رأينا أن خلفاء بنى أمية كانوا يؤمنون أن الفتح والتوسع المستمرين هما عدتهما لنشر الإسلام ، وأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع عن الدولة الاسلامية، وبالتالى فقد اضحت أسلاب المعارك وغنائم الحرب عنصرا اساسيا فى البنيان الاقتصادى للدولة ، فلما جاء عمر بن عبدالعزيزبالتزامه الإسلامي كان لابد وأن يهدف أيضاً إلى نشر الإسلام مثل أسلافه، ولكن هذا الإلتزام أيضا هو الذى جعل أداته لتحقيق هذا الهدف مخالفة تماما لما كان يستخدمه سابقوه .

فلقد أدرك عمر أن الغزوات الإسلامية أضحت فى معظمها غارات للسلب والنهب وليست جهادا لنشر الدعوة ، ومن ثم كان لايسير الحملة الا اذا اقتنع تماما بضرورتها الحربية ثم أنه أعاد سياسة الفتح إلى القاعدة الإسلامية الشرعية فكان يدعو الخصم إلى الإسلام أو الجزية أو القتال ، ثم نظر إلى المسلمين فجعل الرباط فى الثغور أربعين يوما فقط وفقا للقاعدة الاسلامية، يرجع المرابط بعدها إلى أهله ليستجم ، ونلحظ أيضا أن عهده القصير حفل بفدائه للمسلمين "الأسرى" وكان لايتقاعس عن فداء الأسير المسلم ولو بعشرة من الروم حتى يخلصه

من الضيم[١] ، أما الأطراف الدولية غير الإسلامية فكان يرسل المراسلات إلى حكامها يدعوهم إلى الإسلام مثلما فعل مع ليو الثالث الامبراطور البيزنطى وكذا مع ملوك السند[٢] كماعرف عنه أنه كان يكره قتل أسرى العدو[٣] ، أما الذميون فى الدولة الأموية فلقد عاملهم بالعدل فزاد دخولهم فى الإسلام فرفع عنهم الجزية وهو خلاف ما كان يتبعة أسلافه من الأمويين الذين كانوا يفتحون البلاد وفى كثير من الأحيان لايرفعون الجزية عمن يسلم من أهلها بحجة أنهم ما اقدموا على ذلك إلا لاسقاط الجزية عنهم وليس اقتناعا بالإسلام وان وضع الجزية سيضر بأقتصاد الدولة دون الحصول على مقابل حقيقى (وهو صحة اسلام هؤلاء الذميين) ولما ووجه عمر بهذا الرأى من قبل اقتصاديى الدولة قال عبارته المشهورة " أن رسول الله أرسل داعيا و لم يرسل جابيا"[٤] .

كما حرص عمر على أن ينشر العدل بين المسلمين غير العرب فعاملهم معاملة حسنة خاصة البربر، وأيضا حرص على العدل بين الأقاليم فأعطى الاقاليم قدرا معقولا من الاستقلال خاصة فىادارة شئونهم المالية واستطاع أن يجد الولاة الذين يحكمون بالعدل فيرضى المحكومون ويقنعوا بدلا من أن يجبروا بالقسوة والبطش ، كما أنه قلص من هيمنة بلاد الشام على باقى أقاليم الدولة ، خاصة هيمنته على أقليم العراق فكان لهذا أثره فى الحد من سطوة الجيش الشامى وتقليص المكانة والدور اللذين ظل يتمتع بهما فى عهد أسلافه[٥] ، ولقد كان لسياسات عمر هذه آثار بالغة على مسار العلاقات الدولية بين المسلمين وغير المسلمين ورغم أن عهده لم

---

١) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والامويين ، م.س.ذ ، ص ١٩٥ .

ماجد ، التاريخ السياسى ، م.س.ذ ، ص ٢٦٧ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٧ .

٢) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والامويين ، م.س.ذ ، ص ١٨٩ .

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٧ .

٤) ماجد ، التاريخ السياسى ، م.س.ذ ، ص ٢٦٧ .

5) Shacban , op. cit , p 136 .

- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , p 269 .

يستمر أكثر من عامين، ورغم أن خلفاءه سيتخلون عن كل هذه الاجـراءات التـى اتبعهـا فـى المجالين الداخلى والخارجى الا أن الأثر الـذى سـتتركه اجراءاتـه علـى طبيعـة العلاقـات الدوليـة سيستمر بل وستساهم ظروف كثيرة داخلية وخارجية فى تكريسه حتـى تفقـد الدولـة الأمويـة السمة الاساسية التى ميزتها حتى مجـىء عمـر عبدالعزيـز وهـى أنهـا دولـة الفتوحـات الكـبرى وسيستمر انحسار هذه الميزة عنها حتى تسقط . وسنتناول معالم هذه الفترة فى ثلاث مباحث:

المبحث الأول : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية البيزنطية .

المبحث الثانى : الانحسار الإسلامي على الجبهة الغربية الأوربية .

المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية .

المبحث الأول : الانحسار على الجبهة الغربية البيزنطية :

كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يهدف ـ ربما أكثر من أى خليفـة أمـوى سـابق لـه أو لاحـق عليه ـ إلى نشر الإسلام ولكن أداته لهذا النشر كانت أساساً الدعوة والموعظة الحسنة ، ولا يعنى هذا أنه كان لايسير الحملات على الجبهة البيزنطية ، ولكن الصائفة التـى ارسـلها كـان هدفهـا الأساسى التحصين والبناء وليس الغزو والسلب والغنيمة(١).

فالهجوم كخير وسـيلة للدفـاع لم تكـن هـى القـاعدة التى ارتكـزت عليهـا سياسـة عمربـن عبدالعزيز الخارجية ، ولكنه آمن أن الدعوة ربما تكون أمضى من السيف فى التمكـين للاسـلام فى الأرض ، وهكذا تخلى عن سياسات الفتح الهجومية التوسعية .

ويرى بعض المحللين أن سياسة عمر بن عبدالعزيز لم تكن فى الواقع الا تكريسا لسياسة سلفه سليمان بن عبدالملك الذى اتبع سياسات تنم عن نية فى ايقاف سياسات الفتـح والتوسـع علـى كافة الجبهات كما رأينا(٢) ولكن المحلل المدقق يجد أن هـذه المقولـة غـير صحيحـة تمامـا علـى الأقل فيما يتعلق بتوجه كل من الخليفتين رغم أن الهدف النهائى لهما يبـدو واحـدا، فيبـدو مـن

---

١) فرج ، العلاقات بين الامويين والبيزنطيين ، م.س.ذ ، ص ص ١٩٠ - ١٩٥ .

2) Shacban , op. cit , pp 127 - 129 .

استقراء احداث التاريخ أن كلاً من سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز كانا يستهدفان ايقاف حركة الفتح والتوسع المستمر ووضع حد لها والبدء فى اقامة نمط حياة للدولة الأموية يتسم بالاستقرار والالتفات إلى الشئون الداخلية أكثر من الأمور الخارجية ، ولكن سليمان بن عبدالملك ارتأى تحقيق ذلك باتباع سياسة هجومية عنيفة يوجه بها ضربات قاضية وقاصمة لخصومه الدوليين خاصة الدولة البيزنطية يهنأ بعدها بحياة دعة واستقرار دون مخاطرة دولية من اعداء محيطين بالدولة الإسلامية متربصين بها ، فالهجوم خير وسيلة للدفاع كان ما يزال اذن هو محور سياسات تعامله الخارجى ، اما عمر بن عبدالعزيز فتخليه عن هذه السياسة الهجومية فى مجال التعامل مع الأطراف الدولية الأخرى كان واضحا ، فهو يهدف إلى تمتع الدولة بحياة مستقرة داخل حدود آمنة ولكن وسيلته لتحقيق هذا هى تحصين الحدود وبناء الثغور والتسامح مع الذميين والدعوة بين أطراف النظام الدولى متبعا مع أسراهم واتباعهم فى الدين سياسات لاتستعديهم على الدولة الإسلامية إيمانا بأن هذه هى سماحة الدين الإسلامي التى تكسب له التابعين المؤمنين المخلصين ، ويرى العديد من المؤرخين ان بدايات هذا التحول نحو الاستقرار ووضع حد لسياسات الفتح والتوسع كان عميق الأثر حتى أنهم يذهبون إلى حد القول إن العامين اللذين استغرقهما حكم عمر بن عبد العزيز يعادلان فى أثرهما الثلاثين عاما التى استغرقها الوليد وسليمان معا(١) ورغم خلاص نية الخليفة عمر بن عبدالعزيز فى سياساته تجاه الروم البيزنطيين إلا أنهم لم يفهموا النية الصادقة الكامنة وراء هذه السياسات فقدروا أن تسامحه هذا انما هو خضوع ناتج عن انتصارهم وردهم للحصار الإسلامي حول القسطنطينية(٢) وقد يجد المحلل عذرا لهم فى ذلك، فتاريخ التعامل بينهم وبين الدولة الأموية لم يكن الا سلسلة ممتدة من الصراعات العدائية ، وهكذا لم تثمر سياسات عمر بن عبدالعزيز ازاء الروم البيزنطيين فلقد استغلوا فترة السكون شبه التام على حدودهم مع الدولة الإسلامية والتى امتدت عامين هى فترة حكم عمر بن عبدالعزيز فى اعادة ترتيب صفوفهم وتنظيم أمورهم الداخلية بعد الحصار

---

1) Ibid , p 127 .

٢)رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م٠س٠ذ ، ص ١٦٧ ٠

القاسى الذى تعرضوا له والذى رغم فشله هز كيان الامبراطورية بصورة عنيفة(١) فلما تراجع خلفاء عمربن عبدالعزيز عن سياساته الخارجية وارتأوا اتباع سياسة أكثر ايجابية تجاه العدو البيزنطى الذى كانت قوته تتنامى فشلوا فى أن يستعيدوا للدولة الأموية مركز المبادرة والتسيد ويرجع ذلك بالأساس إلى الخطة البارعة التى وضعها ليو الثالث وقام بتنفيذها لحماية الدولة البيزنطية ووضع الدولة البيزنطية فى وضع دفاعى مستمر حيث تحالف مع قبائل الخزر التى تقطن مناطق شمال شرق الدولة الإسلامية وجعلها مصدراً دائماً لاثارة القلاقل للدولة الإسلامية ، ومن ثم ميدانا يجذب معظم الانطلاقات الإسلامية ويستنفذ طاقاتها فتوقفت من ثم سياسة الزحف على القسطنطينية، هذا بالاضافة إلى تنظيمه الرائع لمناطق الحدود مع الدولة الإسلامية بحيث أصبحت درعا لايمكن اختراقه وتتحطم عليه كل الهجمات الإسلامية القليلة على الروم والتى كانت تسمح ظروف انشغالها المستمر فى حروبها مع الخزر بتجهيزها(٢).

ويتضح مدى نجاح سياسات ليو الثالث عندما نعلم أن الدولة الأموية قد انشغلت تماما بخطر الخزر الذين أضحوا يهددون اذربيجان وارمينيا إلى درجة أن الخليفة يزيد وجه جزءا كبيرا من القوات الشامية المضطلعة أساساً بالغزو على الجبهة البيزنطية إلى أقليم الجزيرة لدعم حاميته المسئولة عن مواجهة الخزر وذلك بعد الهزيمة النكراء التى أوقعها الخزر بالمسلمين عام ١٠٤هـ / ٧٢٢م(٣) ولقد أثر هذا التحرك بالطبع على فعالية اداء المسلمين على الجبهة البيزنطية أيام خلافة يزيد، كأن المسلمين لم يكن يكفيهم ظروف الانتعاش على الجانب البيزنطى والذى اثر على قدرتهم على مواجهته ، فجاءت أيضا الظروف الداخلية غير المستقرة لتتكاتف مع الظروف الخارجية وتزيد من سلبية الجانب الإسلامي، فلقد انفجرت فى هذه الفترة فتنة

---

١) فرج ، العلاقات بين البيزنطين والامويين ، م.س.ذ ، ص ١٨٣ .

٢) المرجع السابق ، ص ٢١٤

- رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، ص ١٦٨ .

3) Shacban , op. cit , p. 144 - 147 .

يزيدبن المهلب بن ابى الصفرة الذى خرج على الخلافة الأموية فى اقاليم العراق وخراسان والتى لم يجد الخليفة من وسيلة لمقاومتها الا ارسال قوات اليه يقودها قواد سحبهم من الجبهة البيزنطية(١) .

وعندما تولى أمر المسلمين الخليفة هشام بن عبدالملك (١٠٥ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ـ٧٤٣م) كانت الأوضاع الداخلية فى الجبهتين الداخلية والخارجية قد وصلت إلى درجة يصعب لأى راغب فى اصلاح أن يتداركها ، فخطر الخزر وصل إلى حد قدرتهم على تهديد قلب أقليم الجزيرة والموصل ذاتها عام ١١٢/ ٧٣٠ ووصل احتراء البيزنطيين على الدولة الإسلامية إلى حد نزولهم شاطىء مصر بعد عام ١١٣هـ/٧٣١م(٢) ، ولقد نظر هشام إلى موقفه المتضعضع على كافة الجبهات فأدرك مدى خطر الخزر فولى هذه الجبهة قوادا اكفاء من أمثال مروان بن محمد الذى استطاع أن يوقع بهم بعض الهزائم ويحد خطرهم نسبيا والذى كان يهدد ارمينيا واذربيجان ، أما مواجهة البيزنطيين فى اسيا الصغرى فقد توقفت توقفا شبه تام بين عامى ١١٥ ـ ١١٨ بتأثير الانشغال بأمر الخزر ، ولما بدأت عودة المواجهة بين المسلمين والبيزنطيين مرة اخرى بعد غيبة هذا الخطر لم تكن الغزوات تعدو التقدم المحدود فى أرض العدو ويعقبها عودة إلى القواعد دون نتائج حاسمة ، فعهد التوسعات الكبرى والفتوحات الهائلة يبدو أنه قد انقضى رغم اضفاء هشام صبغة الجهاد على غزواته وتوليته ابناءه أمر الغزو فى أرض الروم احياء لتقليد الفاتحين العظيمين معاوية بن ابى سفيان والوليد بن عبدالملك(٣) .

---

٣) شاكر . التاريخ الإسلامي ، م. س.ذ ، ص ٢٦١ .

- ماجد ، التاريخ السياسى ، م.س.ذ ، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٨ .

- Shacban , op. cit , pp. 144 - 147 .

١) ماجد ، التاريخ السياسى ، م.س.ذ ، ص ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوروبا ، م.س.ذ ، ص ١٦٩ .

- Shacban , op. cit , pp 144 - 147 .

ثم إن المعارك القليلة التى دارت بين المسلمين والبيزنطيين على الجبهة البيزنطية بدءاً من عام ١١٨ كانت سجالا ، حتى كان عام ١٢٢ / ٧٣٩والذى شهد وقوع معركة حاسمة فى تاريخ العلاقات الأموية البيزنطية عرفت باسم موقعة اوكرونيون هزم فيها المسلمون هزيمة قاصمة ، ورغم ثقل وطأة فقدان أربعين ألف جندى مقاتل وبعض من خيرة القواد على الجانب الاسلامي ، الا أن الاثر البالغ لهذه المعركة والذى يعتبر حاسماً فى تغيير مسار العلاقات الإسلامية البيزنطية هو أن المسلمين اضطروا فى أعقابها إلى أن يجلو عن غرب أسيا الصغرى وأن يتراجعوا شرقا وجنوبا(١) ، ولهذا السبب يعتبر العديد من المؤرخين أن هزيمة المسلمين فى اوكرونيون على الجبهة البيزنطية موازية فى اثرها لهزيمتهم فى بلاط الشهداء فى الجبهة الأوربية عام ١١٤كما سنرى أن الهزيمتين قد اديتا إلى انحسار المد الإسلامي عن العالم المسيحى شرقه وغربه فى غضون سنوات قليلة فتم بذلك انقاذ وجه النظام الدولى من اجراء تغيرات جذرية فى معالمه لصالح الجانب الإسلامي .

وبهزيمة المسلمين فى هاتين المعركتين اصبح واضحا بما لايدع مجالا للشك أن الظروف الداخلية للدولة الإسلامية وكذا الظروف البيئية الخارجية تجعل من المحتم على المسلمين أن يتخلوا عن الفتح والضم كهدف أعلى لسياستهم الخارجية وأن يقنعوا بمحاولة النجاح فى ردع البيزنطيين والفرنجة ووقف تهديداتهم للدولة الإسلامية ذلك أن هاتين المعركتين قد اعادتا الثقة للقوى غير الإسلامية فى جيوشهم وجعلتهم اكثر حرصا على الاحتفاظ بما حققوه على حساب الدولة الأموية .

واذا كان المسلمون قد ارسلوا حملة عام ١٢٤ محاولين الاستفادة من الصراع الداخلى حول السلطة فى بيزنطة فى ذلك الوقت إلا أن عمق تردى حال المسلمين -فى ذلك الوقت- سيتضح من حرص الحملة على أن لا تصطدم بالجيش الامبراطورى واكتفت بالتوغل قليلا فى

---

١) فرج ، العلاقات بين البيزنطيين والامويين ، م.س.ذ ، ص ٢٤٦ .

- Shacban , op. cit , p 149 .

أرض العدو وربما لتثبت قدرة زائفة وامكانيات غير موجودة، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي يتوغل فيها الجيش الأموى فى أرض الروم حتى نهاية الدولة الأموية ذلك أن الصراعات الداخلية سرعان ما زادت من تمزقها لينتقل زمام المبادرة كاملا للدولة البيزنطية(١) .

فالصراعات والفتن الداخلية فى الدولة الأموية كانت قد وصلت حداً بالغاً من الخطر فى أواخر عهدها عجل بسقوطها ، فالصراعات القبلية أدت إلى مقتل الخليفة يزيد بن عبدالملك فما كان من مروان بن محمد القائد العسكرى على الجبهةالبيزنطية إلا أن انسحب بجيشه ليخوض حربا داخلية على الخلافة بدعوى الثأر لدم الوليد وترك الجبهة مع العدو الخارجى مفتوحة ، فاستغل البيزنطيون هذا وحاصروا مرعش واضطروا أهلها للمصالحة ثم خربوها ، وكذلك هاجموا دلوك وزبطرة وحاصروا ملطية وهدموها وهاجموا قاليقلا والحدث والمصيصة ، وبذلك اشاعوا الاضطراب فى أقاليم الثغور ، وكانوا يصالحون الاهالى على ترك هذه الجهات ثم يهدمونها فدمروا بذلك الخط الدفاعى للدولة الأموية الذى بناه الأمويون الأوائل بالوقت والمال والجهد(٢).

وامتد هجوم البيزنطيين وتراجع المسلمين أيضا إلى الميدان البحرى فمنذ فشل حصار القسطنطينية لم نسمع عن غزوات بحرية حتى عهد هشام بن عبدالملك الذى غزا أمير افريقية فى عهده عام ١١٧جزيرة سردينيا ثم جزيرة صقلية عام ١٢١، ولكن لم يسفر هذا عن أية نتائج حاسمة ، فى حين نجد ان الاسطول البيزنطى قد هاجم قبرص عام ٧٤٧/١٢٩ونجح فى استرجاعها وفى ضرب الاسطول الإسلامي هناك ضربة قاصمة(٣)، وهذا فى ذات الوقت الذى كان فيه الأمويون منشغلين فيه بالداخل عن الخارج . فبعد انتصار مروان بن محمد فى الصراع على السلطة ، ما لبث ان انشغل بتمردات الخوارج والشيعة إلى درجة لم تجعله يلتفت حتى

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ص ١٦٩، ١٧٠ .

٢) المرجع السابق ، ١٧٠ .

- Hodgson , op. cit , Vol. 1 , pp 272 - 274

٣) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، ص ١٧٠ .

- فرج ، العلاقات بين الامويين والبيزنطيين ، ص ٢٤٦ .

إلى خطر الدعوة العباسية التى كانت تستشرى فى ذلك الوقت وتسرى كالنار فى الهشيم خاصة فى أقليم خراسان حيث الموالى الساخطين على سياسات الأمويين فى التمييز بين المسلمين من أصل عربى والمسلمين من أصل غير عربى ، ولقد وصل أمر أنشغال الخليفة بفتن الخوارج فى المركز والأقاليم المجاورة إلى أنه لم يلتفت لنداءات واليه على خراسان نصربن سيار بطلب العون على الدعوة العباسية واعلامه بمدى خطرها بل كان يرد عليه بأن يتصرف فى الأمر بما يرتأى وبما بين يديه من امكانيات ، ولما فرغ الخليفة نسبيا مما بين يديه من فتن ولما أراد مواجهة خطر العباسيين كان أمرهم قد استفحل ، ولم يستطع مواجهتهم بالاعتماد على الجند الشاميين لأنه كان قد كسر شوكة جانب كبير منهم بسبب العصبية القبلية واثناء صراعه على السلطة فانهزم الخليفه الأموى من العباسيين عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م فى معركة الزاب ثم طورد فى مصر وقتل[1] ، وليخط خاتمة أليمة لتاريخ مجيد وليجلى معنى هاماً سيطل براسه كثيرا بعد هذا على طول التاريخ الإسلامي وهو أن المسلمين ينهزمون فى الداخل قبل أن يهزموا فى الخارج ، فهم دوما تهزمهم خلافاتهم الداخلية وصراعهم مع بعضهم البعض قبل ان ينهزموا على يد اعداء خارجيين .

المبحث الثاني : الانحسار الإسلامي في الجبهة العربية الأوربية :

ما أن فتح المسلمون اسبانيا لتأمين فتوحات شمال أفريقيا حتى بدأوا وبنفس منطق تداعى الفتوحات ، يطمحون إلى حماية الاندلس الإسلامية عن طريق الفتح فى المنطقة المتاخمة لحدودها الشمالية الشرقية حيث تقع فرنسا الحالية والتى لم تكن قد أضحت وحدة سياسية بعد : ففى هذا الوقت كانت المنطقة منقسمة إلى عدة ولايات أهمها سبتمانيا واكيتانيا وبرفانس وكانت تعرف تلك الأراضى باسم بلاد الغال، أما المنطقة الواقعة شمال نهر اللورين وحتى ألمانيا الحالية فكانت خاضعة لمملكة الفرنجة ، وهذه المملكة كانت فى ذلك الوقت أعظم ممالك الغرب والشمال على نحو ما كانت عليه الدولة البيزنطية فى الشرق، ولقد بدأت هذه المملكة منذ

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، ص ١٧٠ .

عهد شارل مارتل محاولات اخضاع ولايات جنوب فرنسا لسلطاته بالقوة فكان أن غزا اقليم اكتانيا بالذات أكثر من مرة ، وكان هذا بداية عداء وصراع فى هذه المنطقة ترتب عليه آثار هامة في مسار الغزو الإسلامي فى جنوب فرنسا(١) .

ولقد بدأ موسى بن نصير بالفعل وقبل استدعائه إلى دمشق ببعض الغارات الاستطلاعية فى الشمال الشرقي ، بعد أن قرر ترك أمر الركن الشمال الغربى للأندلس الذى انسحبت اليه فلول الجيش القوطى كما ذكرنا قبلا وذلك استخفافا بشأنه ، فلقد قدر أن الخطر الحقيقى يأتى من الشمال الغربى فكانت سراياه تلك التى استولت على برشلونة وتوغلت في فرنسا (غالة) مخترقة جبال البرنييه في تسمانيا وبروفانس ومستولية على بعض المدن فى المقاطعتين(٢) و لم تتوقف غارات المسلمين المنطلقة من اسبانيا إلى فرنسا فى عهد عمر بن عبدالعزيز حيث جهزت حملة كبرى فى عام ١٠٠/٧١٩ اغارت على أقليم اكيتانيا ولكن الحملة انتهت بهزيمة للمسلمين عام ١٠٢-٧٢١، و لم تخرج أى غارة بعدها من اسبانيا باتجاه فرنسا لمدة خمسة أعوام متتالية(٣) .

ولقد برز فى هذه الحملة اسم عبدالرحمن الغافقى القائد المسلم الذى شهد هزيمة المسلمين فأراد أن يحولها إلى نصر ساحق فحاول بعد اثنى عشر عاما من هذه الهزيمة أن يحيى من جديد مشروع طى أوربا كلها تحت راية الإسلام والوصول إلى القسطنطينية من الغرب .

ولقد حقق المسلمون فى أسبانيا نجاحات واضحة في الجبهة الأوربية فى عهد الخليفة الأموى يزيد، ساعدهم على ذلك الظروف الداخلية للممالك الأوربية فى تلك المنطقة والتى اشرنا اليها قبلا، فدوق اكيتانيا لصراعه المستمر مع ملك الفرنجة شارل مارتل سيسعى إلى عقد حلف مع المسلمين في الاندلس ليؤمن ظهره أثناء صراعه مع مارتل فلا يشتت جهوده على جبهتين ، وسيوافق المسلمون على عقد معاهدة صلح ومهادنة اتبعها عقد محالفة بين الطرفين

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م . س. ذ ، ص ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٢) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

- شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ٢٥٠ .

تعهد دوق اكيتانيا بمساعدة المسلمين على غزو بعض المناطق جنوب فرنسا ، ولقد خرجت الجيوش الإسلامية وفقا لهذه المعاهدة واجتاحت جنوب فرنسا حتى وصلت إلى مشارف باريس فاتحة فى اقليمى بروفانس وبرجندية ومتجنبة بالطبع اقليم اكيتانيا المحالف لهم(١) ، واذا كان هذا الحلف بين طرف إسلامى وطرف غير اسلامى لمواجهة طرف غير إسلامى قد نجح فى هذه المرة على خلاف كل التحالفات المماثلةحيث كان الطرف غير الإسلامي سرعان ماينقض العهد عندما يأمن خطر المسلمين ، فإن النجاح هذه المرة قد يرجع إلى ارتباط الطرف غير الإسلامي بعلاقات مصاهرة مع الطرف الإسلامي ممثلا فى عامل شرطانية البربرى ، ومن ثم عندما تولى أمر الاندلس القائد عبدالرحمن الغافقى الذى شهد أول هزيمة كبرى للمسلمين على يد دوق اوكيتانيا ذاته قبل اثنى عشر عاما قرر نقض هذا الحلف وأعلن الجهاد ضد الفرنجة بعد أن قرب الرعية بالعدل وحصن الثغور فتجمع لديه جيش ضخم قرر به خوض معركة ضد دوق اوكيتانيا الذى لم يجد أمامه إلا ان يستنجد بشارل مارتل خاصة بعد أن احتاح الغافقى نصف فرنسا الجنوبى كله من الغرب إلى الشرق ، ووصلت جيوش المسلمين للمرة الثانية إلى أبواب باريس فى غضون سبع سنوات واستولوا على بواتييه وتقدموا صوب مدينة تور فأدرك شارل مارتل أن دولة الفرنجة ذاتها هى خطوة المسلمين التالية فقرر التحالف مؤقتا مع دوق اوكيتانيا لمواجهة الخطر الإسلامي المشترك(٢) فكانت المنازلة الكبرى بين الجيش الإسلامي والجيش الافرنجى فى ١١٤هـ /٧٣٢م فى سهل يقع شمال بواتييه فعرفت المعركة فى المصادر الاجنبية باسم معركة بواتييه ، ولكنها عرفت فى المصادر العربية باسم بلاط الشهداء لكثرة من قتل من المسلمين وعلى رأسهم الغافقى ذاته فكانت الهزيمة .

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، ص ٢٦١ .

رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ص ١٢٧ - ١٢٨ .

٢) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، ص ص ١٢٩ ، ١٣٢ .

ويورد المؤرخون لهذه الهزيمة سببين : أحدهما مباشر ، والآخر غير مباشر ، وكلاهما يؤكد درسا من الدروس المستقاة من تاريخ العلاقات بين القوى الإسلامية والقوى غير الإسلامية ، والذى لو وعاه المسلمون ما كانت الهزيمة .

أما السبب المباشر للهزيمة فكان انشغال المسلمين بأمور دنياهم عن أمور دينهم ، فانشغال الجند بالغنائم التى حُمل بها الجيش طوال حملته من الشرق للغرب أدت إلى هزيمته ، فلقد كان الجيش معه هذه الغنائم فى المؤخرة ، ولقد بلغ من حرص الجند على هذه الغنائم أن أدرك شارل مارتل هذا بوضوح فكان حرص الجند عليها هو مدخله لهزيمتهم عندما وجه فرقة من جيشه لمؤخرة الجيش الإسلامي فسرى فى جند المسلمين أن معسكر الغنائم يوشك على السقوط فتركوا المعركة وارتدوا إلى الخلف فوقع الاضطراب واستشهد الغافقى وهو يحاول أن يعيدهم إلى النظام دون فائدة ، فزاد الاضطراب بعد استشهاده وزاد القتلى فى صفوف المسلمين حتى أقبل الليل فانسحبوا تحت جنحه إلى قواعدهم فى سبتمانيا تاركين وراءهم الغنائم والأسلاب التى كانت سببا فى هزيمتهم(١) ، فكأن المسلمين لم يتعظوا بدرس أحد .

أما السبب غير المباشر فى الهزيمة فهو عدم تماسك الجيش نتيجة الصراعات القبلية والعرقية فيه ، فرغم محاولات الغافقى القضاء على هذه الحزازات الا أنها كانت من العمق بحيث أن الهدوء كان على السطح فقط فى حين أن الأعماق كانت تغلى بالأحقاد والضغائن ، فجيش الغافقى كان يتكون من البربر والعرب الذين كانت علاقاتهم علاقة تنازع منذ فتوحات الاندلس التى أمن البربر أنهم كانوا عدتها الأساسية ، ثم استأنس العرب دونهم بعدها بالمغانم الكبيرة والمناصب القيادية ، ثم أن العرب ذاتهم كانت تمزقهم الحزازات القبلية ما بين قيسية ويمنية والتى حملوها معهم من دمشق حين قدموا للغزو فى شمال أفريقيا والاندلس ولقد أثرت هذه الحزازات على وحدة الصف الإسلامي والتى أطلت برأسها عندما ساد الخوف على

---

١)المرجع السابق ، ص ص ١٣١ - ١٣٣ .

الغنائم فانطلقت كل فرقة لتنقذ أسلابها فكانت الهزيمة(١) ، ولم يتعظ المسلمون بالانحلال البادى فى المشرق الإسلامي نتيجة تزايد الحزازات القبلية بين قيس ويمن والصراعات العنصرية بين العرب والفرس .

ولقد رأينا أن العديد من المؤرخين الأوربيين والعرب على حد سواء يعتبرون هذه المعركة علامة حاسمة فى تاريخ النظام الدولى على أساس أنها وضعت حدا للمد الإسلامي فى أوربا فأنقذت بذلك الكيانات الأوربية المسيحية من أن تُطوى تحت راية الإسلام فتغيرت مصائر العالم القديم بأسره ، فهزيمة المسلمين هذه قد قضت على هدف ارتفاع راية الإسلام فوق العالم القديم فكرست هذه الهزيمة المعنى الذى سبق أن حملته هزيمة أمام أسوار القسطنطينية عام ١٠٠هـ وهو فقد المسلمين فرصة التسيد على العالم القديم ، وكانت هذه المحاولة هى الأخيرة التى بذلتها الدولة الأموية لافتتاح دول الغرب المسيحى وتحقيق هدفها فى أن تصبح القطب الأوحد المتسيد للنظام الدولى ، ولقد تأكد هذا المعنى أكثر بعد هزيمة اركرانيون عام ١٢٢ ـ والتى أشرنا اليها قبلا ـ والتى ردت المسلمين أمام البيزنطيين فى آسيا الصغرى(٢) .

واذا كان هناك بعض المؤرخين الذين لايذهبون إلى الرأى السابق مؤكدين أن معركة بلاط الشهداء هى مثل غيرها من المعارك السابقة واللاحقة بين المسلمين وغير المسلمين والتى تم تبادل الهزيمة والنصر فيها(٣) ، الا أن استعراض النتائج التى ترتبت على هذه المعركة ليضعها دون شك فى صف المعارك الحاسمة فى تاريخ العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين ،فضلا عن استشهاد الغافقى مع آلاف من الجند المسلمين مما أثر بالضرورة على امكانية القيام بأى محاولة جادة للفتح فى أوربا فى الأمد المنظور ، فان هزيمة المسلمين فى هذه المعركة جعلتهم يتقوقعون فى قواعدهم فى سبتمانيا فى جنوب فرنسا ويحجمون عن غزو الشمال الفرنسى وبذلك اتاحوا

---

١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

٢) عنان ، مواقف حاسمة ، م.س.ذ ، ص ص ٤٦ - ٧٠ .

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، م.س.ذ ، ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .

الفرصة لشارل مارتل لكى يبسط سيطرته المطلقة على مملكة الفرنجة فى الشمال وأن يعزز قبضته على أمراء الاقطاع في الجنوب فمهد بذلك لانتقال تلك المناطق إلى أسرته فتولى بعده ابنه بين ومن بعده ابناه كارلومان وشارلمان ، ثم انفرد الأخير بحكم مملكة الفرنجة عام ٧٧١م ليحيى فكرة توحيد غرب أوربا تحت حكمه مقيما"الامبراطورية الرومانية المقدسة" عام ٨٠٠م ولقد أضحت مملكة الفرنجة اذن التى سمحت هزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء بقيامها فاعلا دوليا قويا يناوىء الدولة الإسلامية في الأندلس بقيامه على حدودها ويقوم بدور الحصن الواقى لأوربا من الغرب ، كما كان الحال مع بيزنطة فى الشرق ، فتوقف المد الإسلامي داخل فرنسا وأوربا لفترة كبيرة، بل وستكون هذه الامبراطورية بعد قرنين من الزمان مصدر أكبر هجمة مسيحية على القوى الاسلامية وهى الهجمة المعروفة باسم الحروب الصليبية(١).

ولقد كرس من الآثار الناجمة عن هزيمة المسلمين فى بلاط الشهداء والمتمثلة فى انحسار المد الإسلامي فى أوربا لفترات طويلة ، الفتن والاضطرابات التى حلت بالمغرب والأندلس بعد هذه الهزيمة مباشرة فصرفت اهتمام المسلمين عن استجماع قوتهم ولملمة شتاتهم لمواجهة الفرنجة فى الشمال ، وفى ذات الوقت كانت مملكة الفرنجة فى الشمال تنتعش بتأثير انصراف الخطر الإسلامي فى الجنوب وبتأثير ظهور حكام محنكين على عرشها فى هذا الوقت الحرج واستفادوا أيما استفادة من أوضاع المسلمين المتردية على حدودهم الجنوبية وانشغالهم بانشقاقاتهم حتى عن استغلال أوقات الاضطراب الطفيفة فى مملكة الفرنجة مثل تلك التى حدثت عند وفاة شارل مارتل وانشغال ابنه بتوطيد ملكه ، فى حين استطاع الفرنجة استغلال الاضطرابات الداخلية فى الامارة الإسلامية لصالحهم تماما ، ففى حين كان المسلمون يتفسخون ويتناحرون في الاندلس والمغرب ، كان شارل مارتل يوحد أوربا الغربية ضدهم .

فلقد أرسل الخليفة الأموى هشام بن عبدالملك جيشا من دمشق للثأر من هزيمة بلاط الشهداء، ولقد استطاع قائد هذا الجيش عقد مجموعة من التحالفات مع أمراء الممالك الفرنسية فى

---

١) المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

- عنان ، مواقف حاسمة ، ص ص ٦٨ ، ٧٠ .

الجنوب الذين عادوا يريدون الاستقلال عن شارل مارتل ، وباستغلال هذه التحالفات استطاع هذا الجيش الشامى أن يحقق بعض النجاحات فى غضون عامين من هزيمة عام ١١٤هـ ، ولكن فى هذه الفترة كان شارل مارتل قد انتهى من اخماد الثورات عليه فى الشمال والشرق ونجح فى اقامة سلسلة من التحالفات ليواجه بها تحالفات أعدائه من المسلمين وأمراء الاقطاع المسيحيين ، ودارت الحرب سجالا بين الجانبين دون نتائج حاسمة ، وجاءت الفرصة الذهبية للمسلمين لكي يستعيدوا زمام المبادرة ولو نسبيا فى مواجهة مملكة الفرنجة عندما مات مارتل عام ٧٤١م ، وحدث نزاع داخلى على العرش ، ولكن فى هذه الفترة الحرجة جهز المسلمون المتمركزون في سبتانيا من جنوب فرنسا جيشا ضخما ولكن بدلا من أن يوجهونه لقتال الفرنجة في الشمال وجهوه فى حملة ثأرية حمقاء على المسلمين فى الاندلس في تصعيد خطير للحزازات القبلية والعنصرية فى هذه المنطقة والتى بدأت تظهر مساوئها منذ عام ١٢٢(١) . ففى هذا العام انفجرت ثورة عارمة للبربر فى المغرب الأقصى استطاعوا من خلالها أن يسيطروا على المغرب الاقصى وان يهزموا جيشين للأمويين كان بهما العديد من الأشراف فأرسل الخليفة هشام بن عبدالملك جيشا عظيما من عرب الشام (القيسية) لقمع الثورة، ولما كان العرب المستقرون فى المغرب والاندلس معظمهم من الحجازيين (اليمنية) فانهم لم يرحبوا بهذا الجيش وتخلوا عنه فى قتاله مع البربر فهزم وحاول أن يعبر إلى الاندلس فرارا فرفض زعيم اليمنية هناك ذلك وهو عبدالملك بن قطن الفهرى ، ولكنه عاد واضطر إلى الاستعانة بالقيسية عندما انفجرت ثورة البربر فى الأندلس أيضا وسمح لهم بقيادة بلج بن بشر بدخول الاندلس على شرط الجلاء عنها بعد اخماد الثورة ، فلما تم هذا رفضوا الجلاء فوثب القيسية على قائد اليمنية وقتلوه وحدث نفس الشيء بالنسبة لقائد اليمنية من قبل العرب القيسية ، وكان هذا نذير انفجار حروب قبلية داخلية استقدمت المسلمين من فرنسا حيث كان قائد المسلمين هناك من أنصار قائد اليمنية فجهز جيشا ضخما زحف به من جنوب فرنسا إلى الأندلس للثأر للقائد اليمنى واشتبك مع المسلمين الشامية فى حرب ضارية فقد فيها جيش

---

١) رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا ، ص ص ١٤٠ - ١٤٣ .

المسلمين القادم من فرنسا عشرة آلاف جندى كان مـن الممكـن أن يوجهـوا طاقـاتهم لمواجهـة الفرنجة فبدلا من أن يفعلوا هذا قاموا بقتل القائد المسلم بلج بن بشر وكان من أثر هذه المعركـة بين الفريقين المسلمين أن خفت الحاميات المسلمة فى الأندلس وفى جنـوب فرنسـا علـى حـد سواء بما أدى إلى ظهور حركات انفصالية فى المنطقتين ، ومنع العداء بين المسلمين فى الاندلس وفرنسا من أن يتكاتفوا لمواجهة هذا الخطر المشترك(١)، وسـيكون لهـذا أثـر عميـق علـى تطـور العلاقات بين المسلمين والفرنجة ـ كما سنرى فى الفصل القادم .

والملاحظة الواجب الاشارة اليها هنا : هـى عمـق اختـلاف سـلوك الأطـراف الإسـلامية فـى مواجهـة خلافـاتهم بالمقارنـة بسـلوك الأطـراف غـير الإسـلامية ، ففـى حـين كـان المسـلمون ينغمسون فى خلافاتهم وصراعاتهم ، كان غير المسلمين ينجحون فى الارتفاع فوق خلافـاتهم ـ ولو مؤقتا لمواجهة الخطر الإسلامي والتكتل ضده كما فعل شارل مـارتل مع دوق اوكيتانيـا فى مواجهة خطر الغافقى على سبيل المثال .

المبحث الثالث : الانحسار الإسلامي على الجبهة الشرقية :

رغم أن القوى التـى كـان يواجهـها المسـلمون علـى الجبهـة الشـرقية ماكـان يمكـن قياسـها بالامبراطورية البيزنطية أو بمملكة الفرنجة ، إلا أن الانحسار والتراجع إلى موضع الدفاع كان هو سمة الموقف الإسلامي على هذه الجبهة كذلك .

ولقد تمثل الخطر الأساسى الذى واجهه المسلمون على هذه الجبهة فى قبائل الترك البدوية التى بدأت تصعد فى فترة التراجع الأموى وأخذت قوتها تتنامى ، فلقد تجـرأت تلـك القبـائل علـى الحدود الشرقية للدولة الأموية بعد هزيمتها أمام أبواب القسطنطينية للمرة الثالثة ، فنجـد هـذه القبائل تغير على أذربيجان فـى عهـد عمـر بـن عبدالعزيـز وتقتـل المسـلمين هنـاك ، وازاء هـذا

١) المرجع السابق ، ص ص ١٣٨ - ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٦ .

العدوان الصريح جهز عمر بن عبدالعزيز حملة وجهها إلى تلك المناطق استطاعت أن تنزل بهذه القبائل خسائر(١) ولكن تعدى قبائل الترك لم يتوقف بل تزايد فى عهد يزيد الذى خلف عمر بن عبدالعزيز حيث عاود خاقان الترك التعدى على بلاد ما وراء النهر مستغلا فرصة انتفاض تلك المناطق على الخلافة فى دمشق ، وكان خاقان الترك سولو (٧١٦-٧٣٨) قد استطاع بالتحالف مع الصين أن يوسس امبراطورية عملت على تأكيد استقلالها وبسط نفوذها على كل قبائل الترك فى الغرب ، ولقد استطاع أن يلحق هزيمة كبيرةبالمسلمين عام ١٠٦هـ / ٧٢٤م وضع المسلمين بعدها فى موضع الدفاع لمدة خمسة عشر عاما فكانوا يتقهقرون أمام القوات القبلية للأتراك بصفة مستمرة فى اقليم ما وراء النهر ، وكان هذا الخطر التركى أحد الأسباب التى دفعت الخليفة سليمان بن عبدالملك إلى تغيير واليه على العراق واستبداله بآخر نجح فى تأمين تعاون القبائل المحلية فى اقليم خراسان مع المسلمين ضد القبائل التركية ، ذلك أن هزائم المسلمين المتوالية أمام القبائل التركية كانت ترجع فى احد اسبابها إلى تقاعس الجند الشاميين عن المشاركة فى هذه الحروب ، وكذا معظم المقاتلة المستقرين فى خراسان لرغبتهم فىالاستقرار ، ولقد ادركت القيادة الإسلامية أن القوة التى سيقع عليها عبء مواجهة هذا الخطر التركى لابد وان تكون منتمية للأقليم حتى تجد الدافع اللازم للدفاع عنه ، وتمثلت هذه القوة فى القبائل المحلية التى كانت فى علاقة عداء طبيعى مع الترك ،فتوحدت جهود هؤلاء مع الجند الراغبين فى القتال واوقعوا هزيمة كبيرة بالقبائل التركية عام ٧٣٧/١١٩ انكسر فيها الأتراك وظلوا كذلك لفترة طويلة مما أثر على مصير الإسلام فى آسيا الوسطى(٢) .

ثم إن الشعوب القوقازية الموجودة على حدود ارمينيا قد تجرأت ايضا على ارمينية واغارت المرة تلو المرة لتهزم عمال المسلمين وولاتهم هناك(٣)، ولقد رد المسلمون على هذه الاعتداءات

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ٢٥٠ .

2) Shacban , op. cit , pp. 138 - 141 .

٣) ماجد ، التاريخ السياسى ، م.س.ذ ، ص ٢٧٩ .

بغزوات أعوام ١٠٢، ١٠٤ ، ١٠٥واستمر غزو المسلمين لأرمينيا طوال عهد هشام بن عبدالملك، وكان الغزو فى معظم الاحيان نتيجة نقض العهد ، فيغزو المسلمون هذه المناطق لاجبار اهلها على اعادة دفع الجزية وهو العهد الذى كانوا ينقضونه فور ارتحال المسلمين .

ثم إن الغزوات على هذه الجبهة لم تكن تحقق هذا الغرض المحدود والمحدد منها ، بل كثيرا ما كان ينهزم المسلمون أمام القبائل المحلية فيتراجعون دون أن يحققوا حتى هذا الهدف الوقتى من إجبار أهل البلاد على اعادة دفع الجزية(١) .

ولقد كان غزو المسلمين فى السند أوفق ففى فترة هشام وصل المسلمون فى فتوحاتهم إلى أماكن جديدة فى شرق السند وجنوبه الشرقى ، بل إن المعاملة الطيبة لعامل المسلمين على الهند شجعت الناس على اعتناق الإسلام بل واعتنقه ايضا ابن الملك داهر ملك السند الشهير(٢).

ولعل أهم ما يحمد للخليفة هشام أنه استطاع أن يصمد للأخطار الخارجية على كل الجبهات ، فصحيح أنه لم يقم بفتوحات عظيمة ولكن مجرد قدرته على الثبات والدفاع عن حدود الدولة الإسلامية أمام الضربات القادمة من كل الجهات فى وقت واحد يعتبر انجازا فى حد ذاته فى ظل الظروف التى كان يتولى الدولة فى ظلها(٣) ، وبنهاية عهد هشام عام ١٢٥هـ / ٧٤٣م كان عدم الاستقرار الداخلى قد وصل حدا ينذر بقرب نهاية الدولة الأموية، فلقد بدد الأمويون بخلافاتهم وتقاتلهم مع بعضهم البعض ما حصدوه بوحدتهم فى مواجهة الأعداء الخارجيين .

---

١) شاكر ، التاريخ الإسلامي ، م.س.ذ ، ص ص٢٦١، ٢٧٦-٢٧٧ .

٢) سالم ، تاريخ الدولة العربية ، م.س.ذ ، ص ص ٣٥٣-٣٥٤ .

3) Shacban , op. cit , p 152 .

الخاتمة

كان من أهم عوامل نجاح التحرك الخارجي للدولة الأموية تمتعها بحكومة مركزية قوية واقتصاد غني مستقر يوفر نفقات الحملات وكذا لجيش يلتزم بالطاعة والامتثال لأوامر قواده وبالولاء للخليفة وبالايمان بالعقيدة التي يدافع عنها ويعمل على نشرها ، وباستثمار هذه العوامل استطاعت الدولة الأموية أن تحتل مكانها في التاريخ بوصفها أولاً وقبل كل شيء "دولة الفتوحات الإسلامية الكبرى" ، واذا كانت الدولة الأموية قد دالت قبل أن تحقق الهدف الاستراتيجي الأعلى لسياستها الخارجية وهو القضاء على الدولة البيزنطية وتحويل النظام الدولي من نظام ثنائي الأقطاب إلى نظام أحادي اللأقطاب تتسيد عليه وتنشر راية الإسلام على كافة أرجائه ، فان هذا لايقلل من عمق الأثر الذي تركته هذه الدولة وسياستها الخارجية على شكل النظام الدولي المعروف حينئذ ، فصحيح أن الدولة الاموية لم توفق في اسقاط الامبراطورية البيزنطية، إلا أن فتوحاتها أدت إلى ضمها القسم الأكبر من أملاك تلك الدولة مما ترتب عليه آثار دولية خطيرة ، فالامبراطورية الرومانية يقع معظمها على سواحل حوض البحر المتوسط فعندما انتزع الامويون من الامبراطورية البيزنطية معظم املاكها فإنهم كانوا بمعنى أو آخر ينازعونها السيطرة على حوض البحر المتوسط ، ولقد أدى الصراع الذي دار بين الدولتين إلى تحول البحر المتوسط من كونه شرياناً للتجارة الدولية كما كان الحال قبل ظهور الدولة الإسلامية في النظام الدولي إلى كونه حلبة صراع وساحة حرب ، ولو كانت احدى الدولتين قد نجحت في القضاء على الدولة الآخرى لكان قد تم توحيد البحر المتوسط مرة أخرى ولعاد انتعاشه تجاريا ، ويتضح هنا مدى الأثر السلبي لفشل المسلمين في اسقاط القسطنطينية ثلاثة مرات وكذا فشل مشروع موسى بن نصير في احتياح أوربا والوصول إلى القسطنطينية من جهة الغرب ، فالنجاح الجزئي للمسلمين في تحقيق اهدافهم الدولية وتنازع القوتين الأموية والبيزنطية ضفتي هذا البحر انهى الدور التجاري المحوري لهذا البحر لمدة ستة قرون وحوله إلى جبهة قتال تجوبها السفن الحربية بدلا من السفن التجارية .

ولقد ترتب على تفتت حوض البحر المتوسط واقتسام الدولتين الأموية والبيزنطية ضفتيه وتوقف التجارة به نتائج خطيرة لكل من قطبى النظام الدولى فى ذلك الوقت، فاذا نظرنا إلى الدولة الإسلامية أولا للاحظنا أن المسلمين قد نجحوا فى الشرق فيما فشلوا فيه فى الغرب ، فهم وان كانوا فشلوا فى تحقيق وحدة البحر المتوسط فانهم قد نجحوا فى السيطرة على كل شواطىء الخليج العربى وذلك باسقاطهم الدولة الفارسية، ثم أنهم نجحوا ايضا فى انتزاع مصر والشام وكل غرب آسيا (فيما عدا الأناضول) من الروم البيزنطيين ، وبذلك تغلبوا على العقبة الأساسية التى كانت تقف حجر عثرة فى طريق التجارة المار فى الشرق عبر الخليج العربى (الفارسى) وهو تفتت وحدة هذه المنطقة بين الامبراطورية الفارسية (التى كانت تملك العراق) والامبراطورية البيزنطية التى كانت تملك الشام ، فكان الدور الذى لعبه الأمويون فى تمزيق وحدة حوض المتوسط قد وازنوه دوليا بدورهم فى توحيد طريق التجارة فى الشرق الأقصى باعادة التعاون والتكامل بين الممرين المائيين الخليج العربى والبحر الأحمر ، فوجود منفذ للتجارة العالمية أمام المسلمين فى الشرق مع الهند والصين وشرق أفريقيا لم يجعلهم يشعرون بوطأة انتهاء الدور التجارى للبحر المتوسط ولاهم عانوا من ذلك ، بل وستنجح الدولة العباسية فى الافادة تماما من هذا الطريق التجارى فى تحويل الهيكل الاقتصادى للدولة الإسلامية تماما ونقله من كونه اقتصاد حرب إلى كونه اقتصاد سلم يقوم على التجارة ، كل هذا والبحر المتوسط مازال مغلقا أمام التجارة الدولية .

وفى الوقت الذى أضحت فيه أسواق الصين والهند والملايو ومدغشقر وغانا مفتوحة أمام التجار المسلمين ، فان أوربا المسيحية كانت منعزلة تماما ومحرومة من المشاركة فى السوق العالمى للتجارة الدولية مع الشرق نتيجة سيطرة المسلمين على ثلاثة أرباع حوض المتوسط واذكاء الصراع مع أوربا فيه ، ولقد كان هذا الاضمحلال فى التفاعل التجارى الخارجى لأوربا محوريا فى تغيير مسار تاريخها كله لقرون عديدة قادمة ، ذلك أن مدنها أضحت مجبرة على تغيير نمط حياتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وذلك بتأثير انقطاع ورود سلع حيوية من الخارج ، والأهم من ذلك الآثار الثقافية والحضارية المترتبة على انعزال أوربا عن التأثير

البيزنطى ، فالأوربيون أضطروا إلى تطوير نمط للحياة بعيدا عن النمط الثقافى للحياة الرومانية الشرقية ، ولقد أدى تأثير تقلص الحضارة الرومانية الشرقية القائمة على التجارة وعلى حياة المدن وكذا تقلص التجارة وتناقص الأموال السائلة إلى دخول أوربا فى عهود الاقطاع وإلى بداية العصور الوسطى المظلمة لها ، فمع تناقص العملة أصبحت الأرض معيار الثروة وأضحت الطبقة الارستقراطية هى طبقة مالكى الأرض فى القرى وليس طبقة رجال الأعمال والتجار فى المدن ، وبذلك تدهورت المدينة وازدهرت الضيعة كوحدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، ولعدم وجود سيولة نقدية بدأت تتقلص القوات النظامية التى تتقاضى أجرا على خدماتها وأضحى من يقدم خدمة حمائية يقطع أرضا مقابل خدماته مما أدى إلى تزايد دور الاقطاع العسكرى ، وسرعان ماتأثر التعليم بالفقر الذى تفاقم وبانعدام الورق اللازم للكتابة والذى كان يستورد من الخارج وبتنامى طبقة المزارعين وعلوهم على طبقة سكان المدن فبدأت عصور أوربا المظلمة ثقافيا وحضاريا . واذا كان غزو القبائل الجرمانية من الشمال قد لعب دورا مساعدا فى التأثير على شكل النظام الدولى بادخال أوربا فى العصور المظلمة فان سيطرة الدولة على حوض البحر المتوسط فى القرن السابع الميلادى وعزلها بذلك عن العالم ليعد العامل الحاسم هنا ، وهذه العصور لم يبدأ انحسارها الا مع القرن العاشر الميلادى الذى بدأ يشهد عوامل الضعف تدب فى الدولة الإسلامية(١) فانحسرت سيطرتها وتسيدها على حوض البحر المتوسط وسوف نرى كيف أن الآثار التى خلفتها عصور الاقطاع فى أوربا سوف تكون سببا فى خروج الحملات الصليبية ، وسوف نرى أيضا أن عودة مسيحى أوربا على جزء كبير من حوض المتوسط سيسهل خروج هذه الحملات ويساعد بالمدد الصليبيين المستقرين فى الشرق .

والدولة الأموية التى تركت هذه البصمة الحاسمة على شكل النظام الدولى فى القرنين الأولين للهجرة (السادس والسابع الميلاديين) نتيجة ماحققته من نجاح على صعيد التحرك الخارجى فى مواجهة الدولة البيزنطية -الامبراطورية العظمى التى استعصت على الامبراطورية الفارسية-

---

1) George Fejlo Houraini , Arab Seafaring in The Indian Ocean in Ancient and Early Medieval Times, pp. 52 - 53.

سقطت بتأثير عوامل داخلية ، فاذا كان النجاح قد تحقق بفضل حكومة مركزية قوية تقبض بقوة على زمام الجبهة الداخلية وبفضل جيش منظم مطيع تواق للغزو ، فان الفشل قد حاق نتيجة انفلات الأمر من يد الحكومة المركزية ونتيجة تقاعس الجيش .

فالدولة الأموية التي أحكمت قبضتها على شعبها في الداخل يبدو أنها ملكته في معظم الأحيان بالبطش و لم تملكه بالمعروف وصالح السياسات (باستثناء نماذج قليلة أهمها عمر بن العزيز) فتنامى انفصال الأمة عن اصحاب السلطة وتعاظم شعور المواطنين بعدم الرضا عن الحكومة وعدم التعاطف معها فانفجرت من الداخل بجميع أنواع الصراعات والحزازات فانشغلت السلطة بهمومها الداخلية عن مشاكلها الخارجية ، وكانت الرقع تتسع كل يوم لتخرج عن حدود قدرة الراتق فأكلت الفتنة الداخلية دولة الفتوحات الخارجية بسبب سياسة التعصب بكافة صورها التى تبناها البيت الأموى وشجعها كثير من الخلفاء ، فلقد عرفت الدولة الأموية التعصب العنصرى حيث كان هناك تمييز واضح بين المسلمين العرب والمسلمين غير العرب ، ثم كان التعصب القبلى حيث كان الصراع مستمرا ودائما بين القيسية واليمنية وصل إلى صفوف الجيش وأثر على تماسكه وعلى ولائه للخليفة ، ثم كان هناك تعصب اقليمي حيث استشرت المنافسة القاتلة بين الحجاز ودمشق أولا ثم بين دمشق والعراق ، ولقد تفاقمت كل صور التعصب بعد وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك عام ١٢٥هـ حيث زج الخلفاء بأنفسهم فى هذه الصراعات فوجدت الدعوة العباسية الفرصة الذهبية؛ صحيح أن الدعوة بدأت عام ١٠٠هـ وهو نفس عام انحسار الدولة الأموية وتراجعها فى البيئة الخارجية،إلا أن نجاح الدولة العباسية الباهر جاء بعد وفاة هشام وتزايد انفصال جسد الأمة عن رأسها بتأثير سياسات التمايز والتفرقة مما يسر على الدعاة العباسيين مهمة استقطاب الموالين وتنظيمهم ضد الدولة الأموية حتى كان الانقضاض الأخير عليها دون أن يهب شعبها للدفاع عنها بعد أن غربته بالتفرقة والتعصب(١) .

---

١)عبد الحليم عويس،دراسة لسقوط ثلاثين دولة اسلامية ، (جدة -دار الشروق، ط٢، ١٩٨٢) ص ص ٦٥-٧٠ .

أما بالنسبة لتقاعس الجيش عن الفتح فلقد رأينا أنه بداية من عهـد سليمان بـن عبـد الملـك كانت هناك رغبة فى انهاء الفتوحات بعمل حاسم ثم الاستسلام إلى حيـاة الدعـة والاستقرار والراحة ، وأن هذا التوجه من قبل الخليفة كان استجابة لرغبة بدأ يفصح عنها الجند خاصة فى الجبهة الشرقية ، ولقد ظل تردد الخلافة واضحا بين تبنى سياسات قتال مـن جـانب أو التخلـى عن ذلك من جانب آخر بين خلفاء سليمان ، ففى حين نجد هشام بن عبد الملك والوليد الثانى من أبرز من تبنوا الخط الأول نجد عمر بن عبد العزيز ويزيد الثالث من أبـرز أصحـاب الاتجـاه الثانى ، واذا كان عمر بن عبد العزيز قد تبنى هـذا الخـط بوصفـه تنفيـذاً جـاداً وأمينـاً لمقـاصد الشريعة ، فان يزيد الثالث قد سار في هذا الاتجاه نزولا على رغبة الجند الذين كانوا قد وثبـوا على سلفه الوليد الثانى وقتلوه نتيجة سياساته التوسعية ورغبته فى ارسالهم فى غـزوات مستمرة على كل الجبهات ، فلما دال الأمر لمروان بن محمد -آخر الخلفاء الأمويين والرجـل العسـكرى والقائد على الجبهة البيزنطية- وكان من أبرز أنصار اتجاه عدم وقف القتال ، تجمعت عليه كـل عوامل الضعف من صراعات قبلية وتمردات خارجية وشيعية وتذمر الجنـد وافصـاحهم صراحـة عن اعلان العصيان اذا لم يسمح لهم بالعودة إلى موطنهم ، فانشغل بمواجهة هذه الجبهة الداخلية المتفجرة دون أن يلقى بالاً للخطر الحقيقى القادم من خراسان والذى يلعب على وتر سياسـات الأمويين التميزية بين العرب والفرس وبين الأمويين والعلويين[1] ، ولما تنبه لهذا الخطـر كـان قـد استشرى وانهزم الأمويون أصحاب الصولات والجـولات ضـد البـيزنطيين بيـد أبنـاء عمومتهـم العباسيين .

---

1) Shacban , op. cit , pp 158 - 159 , 160 - 164 .

المراجع

ابراهيم أحمد العدوى ، الامويون والبيزنطيون : البحر المتوسط بحيرة إسلامية (القاهرة :مكتبة الانجلو المصرية ، د.ت) .

ابراهيم أحمد العدوى ، قوات البحرية العربية فى مياه البحر المتوسط (القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، د.ت) .

احمد بن زيني بن أحمد دحلان، الفتوحات الإسلامية بعد مضى الفتوحات النبوية(القاهرة : مؤسسة الحلبى ، ١٩٨٦) .

اسد رستم ، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب -(بيروت : دار المكشوف ، ١٩٥٥) .

حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، ج١ :الدولة العربية ، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ، ط٧ ، ١٩٦٤) .

رسام عبد العزيز فرج، العلاقات بين الامبراطورية البيزنطية والدولة الاموية حتى منتصف القرن الثامن الميلادى.

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الدولة العربية : تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الاموية (الاسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية -د ت).

عبد الحليم عويس ، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية ، (جدة - دار الشروق ،ط٢ ، ١٩٨٢) .

عبد السلام الترماينى ، أزمنة التاريخ الإسلامى ، ج١، مجلد ١، (الكويت: ١٩٨٦).

عبد العظيم رمضان ، الصراع بين العرب وأوربا من ظهور الإسلام إلى انتهاء الحروب الصليبية - (القاهرة : دار المعارف- ١٩٨٣) .

عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية - عصر الخلفاء الامويين -(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية ، ج١ ، ١٩٨٢) .

علية عبد السميع الجنزورى ، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧).

فتحي عثمان ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري)
القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ، د٠ت) ٠
محمد عبد الله عنان ، مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - (القاهرة : مؤسسة الخانجي -ج١، ١٩٦٢) ٠
محمد محمد عبد القادر الخطيب ، دراسات تحليلية في تاريخ الدويلات الإسلامية (د٠م ٠ ط١، ١٩٨٥)٠
محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي : العهد الأموي - (بيروت : المكتب الإسلامي -١٩٨٢) ٠
هاشم اسماعيل الجاسم، دراسات تاريخية عسكرية عن الثغور البيزنطية العربية منذ الفتح العربي للشام في نهاية العصر العباسي الأول - رسالة ماجستير - كلية الأداب - جامعة القاهرة - ١٩٧١ ٠
وسام فرج ، الدولة والتجارة في العصر البيزنطي الأوسط ،حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، الحولية التاسعة ، الرسالة الثالثة والخمسون ، ١٩٨٨ ٠

- Hodgson , The Venture of Islam , Vol 1 : The classical Age of Islamic (Chicgo , London : The Universty of Chicago press, 1974) .
- Bernard Lewis , The Arabs in History (New York : Harper , Row Publishers , 1960) .

اصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي

أولاً ـ سلسلة إسلامية المعرفة

- إسلامية المعرفة: المبادئ وخطة العمل، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- الوجيز في إسلامية المعرفة: المبادئ العامة وخطة العمل مع أوراق عمل بعض مؤتمرات الفكر الإسلامي، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م). أعيد طبعه في المغرب والأردن والجزائر.
- نحو نظام نقدي عادل، للدكتور محمد عمر شابرا، ترجمه عن الإنجليزية سيد محمد سكر، وراجعه الدكتور رفيق المصري، الكتاب الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لعام (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة)، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- نحو علم الإنسان الإسلامي، للدكتور أكبر صلاح الدين أحمد، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد الغني خلف الله، (دار البشير/ عمان الأردن) (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).
- منظمة المؤتمر الإسلامي، للدكتور عبدالله الأحسن، ترجمه عن الإنجليزية الدكتور عبد العزيز الفائز، الرياض، (١٤١٠هـ/١٩٩١م).
- تراثنا الفكري، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة الثانية، (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ /١٩٩١م).
- مدخل إلى إسلامية المعرفة: مع مخطط لإسلامية علم التاريخ، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).
- إصلاح الفكر الإسلامي، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- إسهام الفكر الإسلامي في الاقتصاد المعاصر، أبحاث الندوة المشتركة بين مركز صالح عبدالله كامل للأبحاث والدراسات/ بجامعة الأزهر والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- ابن تيمية وإسلامية المعرفة، للدكتور طه جابر العلواني،الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

ثانيًا ـ سلسلة إسلامية الثقافة

- دليل مكتبة الأسرة المسلمة، خطة وإشراف الدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف، للدكتور يوسف القرضاوي (بإذن من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر)، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

ثالثًا ـ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي

- حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، الطبعة الثالثة، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- أدب الاختلاف في الإسلام، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الخامسة (منقحة ومزيدة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الإسلام والتنمية الاجتماعية، للدكتور محسن عبد الحميد، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

- كيف نتعامل مع السنة النبوية: معالم وضوابط، للدكتور يوسف القرضاوي، الطبعة الخامسة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- كيف نتعامل مع القرآن: مدارسة مع الشيخ محمد الغزالي أجراها الأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، للأستاذ عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- حول تشكيل العقل المسلم، للدكتور عماد الدين خليل، الطبعة الخامسة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- المسلمون والبديل الحضاري للأستاذ حيدر الغدير، الطبعة الثانية (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- مشكلتان وقراءة فيهما للأستاذ طارق البشري والدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، للأستاذ راشد الغنوشي، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

رابعًا ـ سلسلة المنهجية الإسلامية

- أزمة العقل المسلم، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية: أعمال المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي،
  الجزء الأول: المعرفة والمنهجية، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م).
  الجزء الثاني: منهجية العلوم الإسلامية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
  الجزء الثالث: منهجية العلوم التربوية والنفسية، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- مجلد الأعمال الكاملة (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- معالم المنهج الإسلامي، للدكتور محمد عمارة، الطبعة الثانية، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- في المنهج الإسلامي: البحث الأصلي مع المناقشات والتعقيبات، الدكتور محمد عمارة، (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- المسلمون وكتابة التاريخ: دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ، للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- في مصادر التراث السياسي الإسلامي: دراسة في إشكالية التعميم قبل الاستقراء والتأصيل للأستاذ نصر محمد عارف، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).

خامسًا ـ سلسلة أبحاث علمية

- أصول الفقه الإسلامي: منهج بحث ومعرفة، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- التفكر من المشاهدة إلى الشهود، للدكتور مالك بدري، الطبعة الثالثة، (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- العلم والإيمان: مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة

الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

- فلسفة التنمية: رؤية إسلامية، للدكتور إبراهيم أحمد عمر، الطبعة الثانية (منقحة) (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- روح الحضارة الإسلامية، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، ضبطها وقدم لها عمر عبيد حسنة، الطبعة الثانية، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، للدكتور عبد المجيد النجار، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).

سادسًا ـ سلسلة المحاضرات

- الأزمة الفكرية المعاصرة: تشخيص ومقترحات علاج، للدكتور طه جابر العلواني، الطبعة الثانية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

سابعًا ـ سلسلة رسائل إسلامية المعرفة

- خواطر في الأزمة الفكرية والمأزق الحضاري للأمة الإسلامية، للدكتور طه جابر العلواني، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- نظام الإسلام العقائدي في العصر الحديث، للأستاذ محمد المبارك، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- الأسس الإسلامية للعلم، للدكتور محمد معين صديقي، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- قضية المنهجية في الفكر الإسلامي، للدكتور عبد الحميد أبو سليمان، (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- صياغة العلوم صياغة إسلامية، للدكتور اسماعيل الفاروقي، (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
- أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية، للدكتور زغلول راغب النجار، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م).

ثامنًا ـ سلسلة الرسائل الجامعية

- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، للأستاذ أحمد الريسوني، (١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، الطبعة الثالثة، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة للأستاذ فادي إسماعيل، الطبعة الثالثة،(١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، للأستاذ محمد محمد إمزيان، (١٤١٢هـ/١٩٩١م).
- المقاصد العامة للشريعة: للدكتور يوسف العالم، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، للأستاذ نصر محمد عارف، الطبعة الثالثة،(١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- القرآن والنظر العقلي، للدكتورة فاطمة إسماعيل، الطبعة الثانية،(١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي، للدكتور عبدالرحمن زيد الزنيدي، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح الكردي، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- الزكاة: الأسس الشرعية والدور الإنمائي والتوزيعي، للدكتورة نعمت عبد اللطيف مشهور،

(١٤١٣هـ/١٩٩٣م).

- فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي: دراسة إسلامية في ضوء الواقع المعاصر، للدكتور سليمان الخطيب، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م).
- الأمثال في القرآن الكريم، للدكتور محمد جابر الفياض، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- الأمثال في الحديث الشريف، للدكتور محمد جابر الفياض، (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- تكامل المنهج المعرفي عند ابن تيمية، للأستاذ إبراهيم العُقَيْلي، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

تاسعًا ـ سلسلة المعاجم والأدلة والكشافات

- الكشاف الاقتصادي لآيات القرآن الكريم، للأستاذ محيى الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الكشاف الموضوعي لأحاديث صحيح البخاري، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).
- الفكر التربوي الإسلامي، للأستاذ محي الدين عطية، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- قائمة مختارة: حول المعرفة والفكر والمنهج والثقافة والحضارة ، للأستاذ محي الدين عطية، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حماد، الطبعة الثالثة (منقحة ومزيدة) (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- دليل الباحثين إلى التربية الإسلامية في الأردن، للدكتور عبد الرحمن صالح عبدالله، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- دليل مستخلصات الرسائل الجامعية في التربية الإسلامية بالجامعات المصرية والسعودية، للدكتور عبد الرحمن النقيب، (١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
- الدليل التصنيفي: لموسوعة الحديث النبوي الشريف ورجاله، إشراف الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، (١٤١٤هـ/١٩٩٤).

عاشراً ـ سلسلة تيسير التراث

- كتاب العلم، للإمام النَّسائي، دراسة وتحقيق الدكتور فاروق حمادة، الطبعة الثانية ، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

حادي عشر ـ سلسلة حركات الإصلاح ومناهج التغيير

- هكذا ظهر جيل صلاح الدين.. وهكذا عادت القدس، للدكتور ماجد عرسان الكيلاني، الطبعة الثانية (منقحة ومزيدة) ، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م).

ثاني عشر ـ سلسة المفاهيم والمصطلحات

- الحضارة ـ الثقافة ـ المدنية «دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم» للأستاذ نصر محمد عارف ، الطبعة الثانية، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).

الموزعون المعتمدون لإصدارات المعهد

المملكة العربية السعودية: الدار العالمية للكتاب الإسلامي ص. ب. 55195 الرياض 11534
هاتف: 465-0818 (1-966) فاكس: 463-3489 (1-966)

المملكة الأردنية الهاشمية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي ص. ب. 9489 - عمان
هاتف: 639-992 (6-962) فاكس: 611-420 (6-962)

لبنان: المكتب العربي المتحد ص. ب. 135788 بيروت.
هاتف: 807-779 (1-961) 860-184 (1-961) فاكس:478-1491 (212) C/O

المغرب: دار الأمان للنشر والتوزيع، 4 زنقة المامونية الرباط
هاتف: 723-276 (7-212) فاكس: 200-055 (7-212)

مصر: دار النهار للطبع والنشر والتوزيع، 7 ش الجمهورية عابدين - القاهرة.
هاتف: 3406543 (2-20) فاكس: 3409520 (2-20)

الإمارات العربية المتحدة: مكتبة القراءة للجميع ص.ب. 11032، دبي (سوق الحرية المركزي الجديد)
هاتف: 663-901 (4-971) فاكس: 690-084 (4-971)

شمال أمريكا:

- أمانة للنشر

AMANA PUBLICATIONS
10710 Tucker Street Suite B, Beltsville, MD 20705-2223
Tel. (301) 595-5777-(800) 660-1777 Fax: (301) 595-5888

- السعداوي للنشر

SA'DAWI PUBLICATIONS
P.O.Box 4059, Alexandria, VA 22303 USA
Tel: (703) 751-4800. Fax: (703) 571-4833

- خدمات الكتاب الإسلامي

ISLAMEC BOOK SERVICE
2622 East Main Street, Plainfield, IN 46168 USA
Tel: (317) 839-8150 Fax: (317) 839-2511

بريطانيا:

- المؤسسة الإسلامية

THE ISLAMIC FOUNDATION
Markfield Da'wah Center, Rutby Lane Markfield, Leicester LE6 ORN, U.K.
Tel: (44-530) 244-944/45 Fax: (44-530) 244-946

- خدمات الإعلام الإسلامي

MUSLIM INFORMATION CENTRE
223 Seven Sisters Rd. London N4 2DA, U.K.
Tel: (44-71) 272-5170 Fax: (44-71) 272-3214

فرنسا: مكتبة السلام

LIBRAIRE ESSALAM
135 Bd. de Menilmontant. 75011 Paris
Tel: (33-1) 43 38 19 56 Fax: (33-1) 43 57 44 31

بلجيكا: سيكرمبكس

SECOMPEX. Bd. Mourice Lemonnier; 152
1000 Bruxelles Tel: (32-2) 512-4473 Fax (32-2) 512-8710

هولندا: رشاد للتصدير

RACHAD EXPORT, Le Van Swinden Str. 108 11
1093 Ck Amsterdam Tel: (31-20) 693-3735 Fax (31-20) 693-8827

الهند:

GENUINE PUBLICATIONS & MEDIA (Pvt.) Ltd
P. O. Box 2725 Jamia Nager New Delhi 100025 India
Tel: (91-11) 630-989 Fax: (91-11) 684-1104

المعهد العالمي للفكر الإسلامي

المعهد العالمي للفكر الإسلامي مؤسسة فكرية إسلامية ثقافية مستقلة أنشئت وسجلت في الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) لتعمل على:

- توفير الرؤية الإسلامية الشاملة، في تأصيل قضايا الإسلام الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة.
- استعادة الهوية الفكرية والثقافية والحضارية للأمة الإسلامية، من خلال جهود إسلامية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومعالجة قضايا الفكر الإسلامي.
- إصلاح مناهج الفكر الإسلامي المعاصر، لتمكين الأمة من استئناف حياتها الإسلامية ودورها في توجيه مسيرة الحضارة الإنسانيّة وترشيدها وربطها بقيم الإسلام وغاياته.

ويستعين المعهد لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها:

- عقد المؤتمرات والندوات العلميّة والفكريّة المتخصصة.
- دعم جهود العلماء والباحثين في الجامعات ومراكز البحث العلمي ونشر الإنتاج العلمي المتميز.
- توجيه الدراسات العلميّة والأكاديمية لخدمة قضايا الفكر والمعرفة.

وللمعهد عدد من المكاتب والفروع في كثير من العواصم العربية والإسلامية وغيرها يمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما أن له اتفاقات للتعاون العلمي المشترك مع عدد من الجامعات العربية الإسلامية والغربيّة وغيرها في مختلف أنحاء العالم.

The International Institute of Islamic Thought
555 Grove Street (P.O. Box 669)
Herndon, VA 22070-4705 U.S.A
Tel: (703) 471-1133
Fax: (703) 471-3922
Telex: 901153 IIIT WASH

هـذا الكتـاب

جزء من عمـل ضخم استغرق إنجازه ما يزيد عن عشر سنوات وشـارك فيه فريق مكون من **سبعة وعشـرين أستاذاً وباحثاً** من المتخصصين فى العلاقات الدوليـة والقانون الدولى والتاريخ الإسلامى والعلوم السياسية ، يتحاورون ويتدارسون قضايا العلاقات الدولية فى الإسلام فى اجتماعات شهرية ونصف شهرية .

وقد أثمر هذا الجهد إنتاجاً أكاديمياً متميزاً فى أربعة مجالات هى :

- أصول وقواعد ومناهج التعامل مع المصادر الإسلامية عند التنظير للعلاقات الدولية فى الإسلام (**الأجزاء : الأول والثانى والثالث**) .
- العلاقات الدولية كما يمكن استباطها من الأصول الإسلامية : القرآن والسنة وخبرة الخلفاء الراشدين (**الأجزاء : الرابع والخامس والسادس**) .
- العلاقات الدولية فى التاريخ الإسلامى (**من الجزء السابع وحتى الثانى عشر**) .
- العلاقات الدولية فى الفكر السياسى الإسلامى (**الأجزاء:الثالث عشر والرابع عشر**)
- وسوف يتم اختصار هذا المشروع ، واستخلاص أفكاره فى صورة كتاب دراسى يكون صالحاً للتدريس فى الجامعات .

ويمكن القول ـ دون مبالغة ـ أن هذا الإنتاج هو الأول من نوعه فى هذا المجـ
العلوم الإجتماعية والإنسانية فى الدول العربية والإسلامية ، لذلك لا يجب الو
ينبغى أن يكون بداية لانطلاقة بحثية تسير على منهجه ، وتجاوزه وتبنى على ق
عليها ، وتعمق جزئياته ، وتستدرك عليها . بل أن خطتّه ومنهج تناوله ينبغى
علوم وتخصصات إجتماعية أخرى .

